

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في الأقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الأملاآت ينق عليها مع الادارة

المجلة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ودفيس تحريرها للمستول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع البندولى رقم ٣٢

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الثالثة

القاهرة في يوم الاثنين ٦ رمضان سنة ١٣٥٤ — ٢ ديسمبر سنة ١٩٣٥

العدد ١٢٦

في الجمال...

- ٣ -

إذا عرفت الجوهر الذى يتحقق به الجمال الطبيعي^(١) سهل عليك أن تعرف الجوهر الذى يقوم عليه الجمال الصناعى ، لأنه إما وحيه وإما نموذج . فالجمال الصناعى يتعلق بالفكرة التى يرحبها إليك الفن عن الفنان ثم عن الفن نفسه إذا كانت ابتكارياً ، وبالفكرة التى يرحبها إليك الفن عن الفن نفسه وعن الفنان ثم عن الطبيعة إذا كان تقليدياً . ولننظر بادئ الأمر فى تنشأ منه عاطفة الجمال فى الفن الابتكارى كالرياسة^(٢) مثلاً . فى أى بيئة من البنايا تجد الوحدة ، والتنوع ، والترتيب ، والتناظر^(٣) ، والتناسب ، والتوافق ، تؤلف منها كلاً مستظماً ما فى ذلك شك ؛ ولكنك لا تجد فى ذلك الشكل جمالا إذا لم يكن من العظمة أو الوفرة أو الذكاء على درجة تثير فى نفسك الإعجاب والدهش . وهل تجد فى العمارة البسيطة مهما اتسق بناؤها واتفقت أجزاؤها ما تجد فى معابد الفراعين من الجمال والجلال والروعة ؟ خذ بنظرك قصراً من قصور القاهرة الحديثة شيد على قدر عادى من العناصر الجمالية

(١) انظر السدين ١٢٢ و ١٢٣ (٢) فن العمارة (٣) البنية

فهرس العدد

منحة

- ١٩٢١ فى الجمال : أحمد حسن الزيات ...
١٩٢٢ أمس وغداً : الأستاذ أحمد أمين ...
١٩٢٥ المجنونة : الأستاذ مصطفى صادق الرافى ...
١٩٢٨ المتعاقبة فى الرواية العربية : الأستاذ محمد عبد الله عثمان ...
١٩٣١ الخفاء الدمى : الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى ...
١٩٣٣ قصة للكروب : الدكتور أحمد زكى ...
١٩٣٧ قصة الفصح بن خاقان : الأستاذ عبد الرحمن البرقوى ...
١٩٣٩ معركة عدوى : الفريق طه ياشا الهاشمى ...
١٩٤٢ للشكفة : الأستاذ كامل محمود حبيب ...
١٩٤٥ مروجى العامس : حسين مؤنس ...
١٩٤٨ الصحراء (قصيدة) : الأستاذ عبد الرحمن شكرى ...
١٩٤٩ ليلت : الأستاذ أنور المطار ...
١٩٥٠ جائزة السلام : الأستاذ محمود غنيم ...
١٩٥١ أبو جاسم (قصة) : الأستاذ عمودا السيد ...
١٩٥٥ تولستوى لمناسبة الاحتفال بذكرى وفاته ...
١٩٥٦ رسالة ملوكية منحة : ...
١٩٥٧ موت زعيم كريم : إبراهيم بك منانو ...
١٩٥٧ الاحتفال بالماخذ : الأستاذ محمد بك كرد على ...
١٩٥٧ جوائز نوبل : ...
١٩٥٨ تاريخ الاسلام السياسى (كتاب) : « مؤرخ » ...

من القوة أكثر مما تظهر من الجهد ؛ ولكن إنشاء مقامة من الحروف المعجزة أو الحروف المهمة كما صنع الحريري ، أو كتابة سورة من القرآن على حبة من الرز كما يصنع الخطاط السوري ، عمل لا يحدث في النفس شعور الجلال ، لأنه يدل على الجهد أكثر مما يدل على القوة ، ويدعو إلى الرثاء أكثر مما يدعو إلى الدهش . وفي التفصيل الحكم من كلام الله ، وفي السهل الممتنع من كلام الناس ، كل الفروق بين القوة والجهد

كذلك لا يستعجم الفرق بين الوفرة الصَّاع وبين الزخرف الأخرق ؛ فان سر الإبداع في الوفرة أنها تضع اللون في مظهره ، والحسن في جوهره ، والمعنى في لفظه ، والشئ في مكانه ؛ أما الزخرف الأخرق فسرف لا يبنى عن غنى ، ورهق لا يسفر عن قدرة ، ولرب لا يملك من ورائه نعم ! هو كل ما يملك الصانع من ثروة نثرها أمام عينيك في غير لباقة ولا تحفظ ، ليخفى بالرياء حقيقة العجز ، ويدفع بالزور نهضة العوز

إن ما قلته في الرياسة ينطبق على الخطابة والموسيقى وسائر الفنون الابتكارية التي تفصح عن قوى كبيرة ووسائل وفيرة . فالخطيب الذي يلبس الآراء بقوة كلامه ، ويسترق الأوهام بسحرياته ، ويملك على الشعب نوازع القلوب فيرسله على رأيه ، ويصرفه على إرادته ، قد أوتي من القوة في الفن والعبقرية ما يحمل النفوس على الإعجاب بقدرته والانقياد لأمره . كذلك الموسيقى الذي يضفي الشاعر بسحر أنغامه ، والشاعر الذي يسبي العقول بقوة أسلوبه وسمو إلهامه ، كلاهما يملن الجلال في قوة الفن التي يفرضها ، ووفرة الوسائل التي يعرضها ، وذكاء الروح الذي يفيض على عمله النظام والانسجام والمناسبة . والوفرة والوفرة هما كذلك روح هذا الجلال وسره ؛ فإذا كان الانفعال الذي ينشئه الصوت أو القصيدة لطيفاً يحدث اللذة ، ولكنه ضيف لا يحدث الطرب ، مدحت قريحة الفنان وأطربت عذوبة الفن ، ولكن الاطراء شئ آخر غير هتاف الإعجاب بعثة سمو العبقرية وقوة الإلهام في روائع الموسيقى وبدائع الشاعر

مهر حسن الزيات

(للبحث بقية)

الثلاثة ، ثم أطل الوقوف أمامه ما شئت ، تجد الفن فيه نازلاً على حكم القواعد للموضوعة . ولكنه عبي صامت لا يحدثك لا عن نفسه ولا عن صانعه ؛ ثم قف تلك الوقفة أمام معبد الكرنك أو هيكل الأقصر أو هرم الجيزة ، تجد نفسك المسبوحة المشدودة موزعة بين سمو الفن في ذاته ، وعظمة الفنان في حقيقته . لاجرم أن هذه الأبنية الضخمة الفخمة أقل تناسقاً وتوافقاً من تلك ، ولكن القوة التي أقامت هذه الأعمدة ، ورفعت تلك الصخور ، ونصبت هذه التماثيل ، وصنعت تلك المحاريب ؛ والوفرة التي تراها في الشكول المختلفة ، والصور الناطقة ، والرسوم الدقيقة ، والكتابة الرمزية ، والأصباغ الحية ، والمادة المعجبة ؛ والذكاء الذي يروك في ابتكار الوسائل الميكانيكية لتقل هذه الأبرام الماثلة من منحها في الجبل ، إلى مثابيتها في الجو ، لتصارع الغناء الذي لا يفتر ، وتضارع البحر الذي لا يبدي ؛ هي التي حققت فيما ذلك الجلال ، وألقت عليها هذه الروعة ، وربطت في ذهنك بين فكرتك عن الصنيع وفكرتك عن الصانع . ولو كانت نسبة الذكاء فيها على مقدار نسبة القوة ؛ لبلغت ما لم تباينه نواطح السحاب الأمريكية من الغاية التي ينقطع دونها الدرك !

على أن الجلال الطبيعي قد يقوم في بعض مظاهره على القوة والوفرة دون الذكاء ، كما ترى في العواصف والبراكين ، ولكن الذكاء ، إذا أعوز في الفن الصناعي ذهبت عاطفة الجلال فيه بدءاً بين التنافر والغربة ، إذ الطبيعة مجهولة الأسرار محجوبة المقاصد ؛ وقد استراحت عقولنا منذ النشأة إلى أن نلتصم لجهااتها المال ، ونفترض لسفاهتها الحكمة ؛ وليس كذلك الفنان ، فإنه مسئول أمام العقل عن العلة التي أجهد من أجلها قوته ، والغاية التي بدد في سبيلها ثروته . وحسبه من الذكاء ما ينفي عنه العبث ؛ فإذا تيسرت له عظمة القوة في ظاهر من النظام ، كفاه ذلك في إنشاء الإعجاب وأتمم التقد ، لأن القوة والوفرة هما المصدران الأولان لنشأة الجلال في الفن

على أن فكرة القوة تختلف اختلافاً شديداً عن فكرة الجهد ؛ فكما قلت الدلائل على هذه ، كثرت الدلائل على تلك . فالخفة والظرافة والأناقة والسراح من صفات الجلال ، لأنها تظهر

أمس وغداً للأستاذ أحمد أمين

وكيف انتصروا ، وكيف سادوا العالم ، وكيف وكيف . وهذا حق لو اتخذ وسيلة لعمل مستقبل ، واستحثت به الإرادة لعمل مستقبل ، وضرب مثلاً لمعالجة مشاكل المستقبل ؛ لما أن يكون غرضاً في نفسه غديث المجزة ومن أمسيوا بأنيميا « الفكر » وضعف الإرادة

ومن نكسوا في الخلق هؤلاء الذين يثيرون المناوآت القديمة والأحقاد القديمة بين رجال الأمة وقادتها ؛ فإذا طلبهم أن ينظروا إلى الأمام ، ويتكيفوا بما يتطلبه المستقبل ، أبوا إلا أن يذكروا لك تاريخ الأمس ، وحزازات الأمس ، وسخائم الأمس ، وما دروا أنهم بهذا يعطلون معالجة المستقبل وخير المستقبل ، أو دروا ولكنهم الماكرون الخادعون . فليس يصح أن ينظر في الأمس إلا لتجنب أغلاط الأمس في المستقبل ، والانتفاع بصواب الأمس وخطئه في المستقبل

ومن نكسوا في الخلق هؤلاء الذين مجدت عقولهم فاعتقدوا أن كل شيء كان خيره في الأمس وشره في الغد ؛ فخير النحو ما وضعه سيويه ، وخير البلاغة ما قاله الجاحظ ، وخير الفلسفة ما قاله ابن سينا وابن رشد والفارابي ، وخير عصور الدين ما سبق من المصور ، وخير الأخلاق أخلاق آباءنا ، وأنه لم يبق في هذا الزمن إلا الخسالة من كل علم وأدب ودين وخلق ، وأن العالم في ذلك كله سائر إلى التدهور دائماً ، فأمس خير من اليوم ، واليوم خير من الغد . فهذه العقيلة لا تنفع للحياة وإنما تنفع للصوامع ؛ ولا تنفع للجهاد وإنما تنفع للفناء ؛ ولا تنفع لمن أرادوا أن يتبوءوا مكاناً في الحياة وإنما تنفع من أرادوا أن يتبوءوا مكاناً في القبور . إن النحو الذي ننشده هو في المستقبل لا في الماضي ؛ واللغة التي تصلح لنا وتؤدي مطالبنا في الحياة هي في المستقبل لا في الماضي ؛ والأدب الذي يمثل نزعاتنا حق تمثيل هو في المستقبل لا في الماضي ؛ والأخلاق التي تلائم المواقف الاجتماعية التي تقفها اليوم هي في المستقبل لا في الماضي ؛ وليس لنا من الماضي إلا ما يصلح للمستقبل بعد غربلته وإبعاد ما تنفع منه . إن موقفنا بين الماضي والمستقبل يجب أن يكون كوقوف وجهنا قيناً ؛ وضعه الطبيعي في الأمام ؛ ولكن الإنسان قد يلوى عنقه وينظر إلى الوراء إذا دعت الضرورة ، ثم يسود سيرته الأولى من النظر إلى الأمام ويسير لوجهه ويعضى قُدماً لشأنه ؛ ولن ترى انساناً طبيعياً

قرأت مرة أن سرباً أمريكياً كان له مصانع ومتاجر ، كأنهم ما يكون من مصانع ومتاجر ، أصابها النار فأتت عليها ، وقدرت الخسائر بجلايين الدولارات

وكان هذا السرب في السابعة والستين من عمره ، ليس له قوة الشباب ، ولا أمل الشباب ، ولا طموح الشباب ؛ وكانت ثروته الضائلة ثروة العمر ، وبجهود العمر ، ونتيجة العمر أتى إليه « مكاتب » يسأله عن هذه الكارثة وأسبابها ومقدارها فأجاب : « لست أفكر في شيء من ذلك ، إنما أفكر على كل فكري الآن : ماذا أنا صانع غداً »

يمجني هذا الاتجاه العملي في التفكير ، فإنه دليل الحياة ، وعنوان القوة ، ومبعث النشاط ؛ فإدمت حياً ففكر دائماً في وسائل الحياة ، ووسائل السعادة في الحياة ؛ وتلك كلها أمامك لا خلفك ، وفي الغد لا في الأمس

أقد دل هذا السرب بإجابته على أنه يقتني عقلية أقوم بممارسته النار ، ونفسية خالدة لا تقنى بفناء المال

إن الحياة الناجحة تفكر في الغد ، والحياة الفاشلة تبحث في الأمس . وقد عفا قالوا : « إذا أفلس التاجر فتنش في دقاره القديمة » . وقال الشاعر وقد رأى بني تغلب لا يعملون عملاً جديداً مجيداً ، ويكتفون برواية قصيدة قالها عمرو بن كلثوم التغلبي في مدحهم :

ألحنى بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم يفاخرون بها منذ كان أولهم يا لآل رجال لشر غير مستوم ولأمر ما خلق الله الوجه في الأمام ولم يخلق في الخلف ،

وجبل العين تنظر إلى الأمام ولا تنظر إلى الخلف ، وأراد أن يجعل لنا عقلاً ينظر إلى الأمام وإلى الخلف معاً ، وأن يكون نظره إلى الخلف وسيلة لحسن النظر إلى الأمام ؛ فمكس قوم الفطرة الإنسانية ونظروا بمقولهم إلى الخلف وحده ، وقلبوا الوضع فجعلوا النظر إلى الخلف غاية لا وسيلة

من هؤلاء الذين نكسوا في الخلق من إذا حدثهم فيما هم صائمون غداً حدثوك عما صنعه آيؤهم الأولون ، وكيف حاربوا

وفرق كبير بين من يُلطم اللطمة فلا يكون له وسيلة إلا البكاء ، وتذكر اللطمة ثم البكاء ، ثم تذكر اللطمة ثم البكاء ، وبين من يلطم اللطمة فيستجمع قواه للكافة . والحياة كلها لطات ، وأعجز الناس من خارت قواه أمام أول لطمة فهرب . ولو أنصف الناس لقوموا الناس بمقدار كفاحهم ، لا بمقدار فشلهم ونجاحهم

شر ما ألاحظ في الشرق حنينه الشديد الى الماضي ، لا أمله القوي في المستقبل ، واعتقاده أن خير أيامه ماسلفت لا ما قدمت ، وإعجابه الشديد بأعمال الماضين وأعمال الماصرين ؛ له منظاران : منظار مكبر يلبسه إذا نظر الى الماضي ، ومنظار مصغر اسود يضمه إذا نظر الى الحاضر والمستقبل . يله أن يطيل البكاء على الميت ، ولا يله أن يتدبر فيما يجب أن يفعله الأحياء ؛ يستسهل النفقات سهما عظمت على الميت ، ويستكثر نفقات الطبيب وأثمان الدواء المريض . يعجبهم أن يتمثلوا الأمثال تدل على عظم الماضي ، ولا يعجبهم أن يتمثلوا الأمثال تبهت الأمل في المستقبل ؛ ففي أعماق نفوسهم أن قول القائل : « ما ترك الأول للآخر » خير من القول : « كم ترك الأول للآخر » . ويلوكون دائما : « لا جديد تحت الشمس » ، ولا يعجبهم أن تقول إن كل ما تحت الشمس في جنة مستمرة ، والمستقبل مملوء بالجديد . وإذا رأوا كلمة في كتاب قديم تدل - ولو دلالة كاذبة - على نظرية جديدة طاروا بها فرحا ، لأن ذلك يلائم ما في نفوسهم من تعظيم الماضي وتحقير الحاضر والمستقبل . هم يعيشون في أحلام ، ولا يريدون أن يعيشوا في حياة واقعة ، وحول هذه المعيشة الحائلة ينسجون دائما ما يوافقها وعازجها ويسارها ؛ يكتفون بالأمل أن ينعموا بالآخرة ؛ وماذا عليهم لو عملوا لينعموا في الدنيا والآخرة ؟

أحمد أمين

في العدد القادم

ابتداء من العدد القادم سنشر نصولا قيمة في (نظرية النسبية المخصوصية) تناول الكلام (١) في الزمان ونسبته ، (٢) وحدة قوانين الطبيعة والبعد الرابع في النسبية ، (٣) مبادئ الميكانيكا الحديثة ، (٤) مبادئ الديناميكا الجديدة ، (٥) كون ينورسكي والفواصل الفراغية والزمانية ، بقلم الدكتور الفاضل الأستاذ اسماعيل أحمد آدم عضو أكاديمية العلوم الروسية

لوى عنقه دائما ، ونظر الى الخلف دائما وعن نكسوا في الخلق هؤلاء الذين وقفوا ينتظرون القدر ؛ أولئك لم ينظروا للمستقبل ، ولكن ينظرون الى ما يفعل بهم المستقبل ؛ أولئك أحجار يفعلون ولا يفعلون ، ويتأثرون ولا يؤثرون ؛ وإنما مستقبلك في يدك ولك دخل كثير في صياغته ، فإن شئت تكن فقيرا ، وإن شئت تكن غنيا - الى حد كبير - وإن شئت تكن سعيدا ، وإن شئت تكن شقيا ؛ وليس يستسلم للقدر إلا من فقد إرادته وأضاع إنسانيته

لقد أتى على الناس زمان كانت الاستسلام للقدر عنوان «الولاية» ورضى القداسة ، وكلما أمن الانسان في التجرد عن الدنيا أمن الناس في تعظيمه وتبركوا به وثموا يده ؛ ولكن هذا تقدير الماضي ؛ أما تقدير اليوم والمستقبل فالولاية والقداسة في العمل ، والولي أو القديس هو الصالح ، وهو الذي يبني المجد بعمله لأتمته وللإنسانية ؛ وهو الذي يواجه العمل في شجاعة وإقدام ، لا الذي يفر من الميدان ؛ وهو الذي يرسم خطة العمل وينفذها ، لا الذي يعزى عن الكوارث ويعود المرضي ويلطف وقع البؤس ؛ وهو الذي يشق الطريق نحو الفقر عن الفقراء والبؤس عن البؤساء ، لا الذي يذرف الدمع ويوصى بالصبر على احتمال الفقر من غير بحث على العمل ، والتفكير في طرق الخلاص من البؤس ؛ وليس الولي والقديس من يحلم بل من يعمل

مضى الزمن الذي كنا نرصد فيه النجوم لتتطلب السعادة من سلطانها ، ونجتنب الشقاء في أوقات نحسها ، وأصبحنا نشعر بأن النحس نحس الخلق وموت الإرادة ، والسعادة حياة النفس وتفتح الأمل ، والمشي في مناكب الأرض ، وإعمال اليد والعقل في جلب الرزق ، وجلب الخير ، ودفع الشر ، ودفع البؤس والفقر

خير لك إن كنت في ظلمة أن تأمل طلوع الشمس غدا من أن تذكر طلوعها أمس ؛ فلكل من الظاهرتين أثر نفسي ، ما كس الآخر ، ففي ترقبك طلوع الشمس غدا الأمل والطموح الى ما هو آت ، وفي هذا معنى الحياة ؛ وفي تذكرك طلوعها أمس حسرة على ما فات ، وألم من خير كنت فيه الى شر صرت فيه ، وفي ذلك معنى الفناء

٢ - المجنون

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

وترك المعهد الذي هو فيه وتخلّى في داره للحفظ وأجمع أن لا يدع هذا المتن أو يحفظه كأن فيه الوضع الذي تارقه عقله عنده ، وبذلك رجع المسكين آلة حفظ ليس لها مساك ؛ وأصبح كالتي يرفع الماء من البحر ، ثم يلقيه في البحر ، لينزع البحر ...

وجاء ا. ش. فقلت له وأومات إلى المجنون الأول : هذا نابذة القرن العشرين

قال : وهل انتهى القرن المشرون فيعرف من نابذته ؟ فقلت للمجنون : أحيه أنت . فسأله : وهل بدأ القرن الواحد والمشرون ؟ قال لا

قال : قالت هذا الذي إلى جانبي نابذة القرن الواحد والعشرين ... فكما جاز أن يكون هو نابذة قرن لم يبدأ ، جاز أن أكون أنا نابذة قرن لم ينته

قلت : ولكنك زدت المشكلة تعقيداً من حيث توهمت حلها . فكيف يكون ملك في آن وبينك وبينه خمس وستون سنة ؟ فنظر نظرة في الفضاء ، وهو كلما أراد شيئاً عسيراً نظر إلى اللاشيء ... ثم قال : هذه الأمور لا تشبه إلا على غير العاقل ... وكيف لا يكون بيني وبينه خمس وستون سنة وأنا أقدمه في النبوغ بأكثر من علم الملأ في خمس وستين سنة ... ؟ قلت للآخر : أ كذلك ؟

قال : مما حفظناه عن الحسن : أدركنا قوماً لو رأيتهم لقاتم مجازين ، ولو أدركوكم لقالوا شياطين ...

فضحك الأول وقال : إنه تلميذي

قال الثاني : لقد صدق فهو أستاذي ولكنه حين ينسى لا يذكره غيري ...

قلت : لا تخرو : « فما حفظناه » عن الزهرى : إذا أنكرت عقلك فاقدحه بما قل ...

فغضب نابذة القرن العشرين وقال : وضح لهذا الجاهل ، الأحمق ، الجاحد للفضل ، مع جنونه وخبله . أيد كوني وهو منذ كذا وكذا سنة يحفظ متناً واحداً لا يحسب عقله إلا كما يحسك الماء النرايل ؟ صدق والله من قال : عدو قاتل خير ؟

ورأيت المجنونين يدخلان معاً فكانما سداً الباب وسوياً بالبناء ، وتركوا الشرفة حائلاً مصمتاً لا باب فيه مما اعتراى من الضيق والحرج ؛ وقالت في نفسي : إنه لا مذهب للعقل بين هذين إلا أن يسعين كلاهما على صاحبه ، فأرى أن أدعهما وأكون أنا أصرفهما ؛ وإدعاهما جاء من النوادر في اجتماع مجنونين ما لا يأتي مثله من عقليين يجتمعان على ابتكاره ؛ غير أنني خشيت أن أكون أنا المجنون بينهما ، ثم لا آمن أن يثيب أحدهما بالآخر إذا خطرت به الخطرة من شيطانه ، فرأيت أن يكون لي ظهور عليهما ، إن لم يحق به الموت فلا أقل من أن يطول به العسر ... وكان إلى قريب من الصديق ا. ش. فأرسلت في طلبه

أما هذا المجنون الثاني الذي جاء به (نابذة القرن العشرين) فقد رأيته من قبل ، وهو كالكتاب الذي خلطت صحفه بعضها في بعض فتداخلت وفسد ترتيبها ، واتقلب بذلك العلم الذي كان فيها جهلاً وتخليطاً يثب الكلام بمد كل صفحة إلى صفحة غريبة لا صلة لها بما قبلها ولا ما بعدها

وهو طالب أزهري كان أكبر منه أن يصير حافظاً لحفاظ الأقدمين من الرواة والفقهاء ، فجعل يحتظر كتاباً بعد كتاب ومتناً بعد متن ؛ وكانت له أذن واعية فكل ما أفرغ فيها من درس أو حديث أو خبر ، نزل منها كالنقر على آلة كاتبة ، فينطبع في ذهنه انطباع الكتابة لا يمحي ولا تنسى

ثم التأت هذه الأداة وهو يحفظ متناً في قفه الشافعي رضي الله عنه ، فبمر سنين يتحفظه ، كلما انتهى إلى آخره نسيه من أوله ؛ فيعود في حفظه وربما أثبت منه الشيء بعد الشيء ، ولكنه إذا بلغ الآخر لم يجد معه الأول ؛ فلا يزال هذا دأبه لا يعمل ولا يجد لهذا العناء معنى ، ولا يزال مقبلاً على الكتاب يجمعه ثم لا يزال الكتاب يتبدد في ذاكرته .

خير ؟ خير . فقال الثاني : خير من صديق جاهل ، هأنذا قد ذكرتكَ من نسيان ، وهأنذا رأيت

فضحك الثانية وقال : ولكي لم أرد أن أقول هذا ، بل أريد أن أولف كلاماً آخر عدو طافل خير ، خير ، خير ، خير من مجنون جاهل

ورأيت أن في التقاء مجنونين شيئاً طريفاً غير جنونهما ، وصح عندي أن المجنون الواحد هو المجنون ؛ أما الاثنان فقد يكون من اجتماعهما ومحاورهما فنٌّ طريف من التمثيل إذا وجدنا من يصرفهما في الحديث ، ويستخرج ما عندهما ، ويستكشف منهما قصتهما العقلية

ولم أكن أعرف أن (نابتة القرن العشرين) من المجانين الذين لم أذن في غير الأذن ، وعين في غير العين ، وأنف بغير الأنف ؛ إذ تتلق أدمغتهم أصواتاً وأشباحاً وروائح من ذات نفسها لا من الوجود ، وتوكلها بالتوهم لا بالحاسة ، فتتخلق هواجسهم خلقاً بعد خلق ، وتخطر الكلمة من الكلام في ذهن أحدهم فيخرج منها ممناها يتكلم في دماغه أو يمشي أو يلاطفه أو يؤذيه أو يفعل أفعالاً أخرى .

وبينا أننا أدور الرأي في اخراج فصل تمثيلي من الحوار بين هذين المجنونين ^(١) ، إذ قال (نابتة القرن العشرين) : صه ، إن جرس « التلفون » يدق

قال ا. ش : لا أسمع صوتاً وليس ههنا تلفون

فاغتاظ المجنون الآخر وقال : إنك تتشكك على التواضع ولست من قديم ، وما عملك إلا أن تنكر ، والانكار ، وبلك ، أيسر شيء على المجانين وأشياء المجانين ، والمامة وأشياء المامة ؛ وقد أنكرت نبوغه آنفاً وأدراك الآن تنكر « تلفونه »

قال ا. ش : وأين التلفون وهذه هي العرفة بأعيننا ؟

فضحك (نابتة القرن العشرين) وقال : صه وبحك لقد خلطت على ؛ إن الجرس يدق مرة أخرى وأنا لا أريد أن أكلها حتى يطول انتظارها ، وحتى تدق ثلاث مرات ، وأخشى أن تكون قد دقت الثالثة وذهب زيتها في صوتك ولطقت

(١) سيأتى هذا الفصل التمثيلي في مقال آخر

قال المجنون الآخر : هي صاحبه التي يهواها وتهواه ؛ وقد استهاسها وتيسمها وحيرها وخجلها ، حتى لا صبر لها عنه ، فوضعت له تلفوناً في رأسه

قال « النابتة » : وهذا التلفون لا يسمعي صوتها فقط ، بل هو ينشقي عطرها أيضاً . وقد تكلمني فيه الملائكة أحياناً ، وأنا ساخط على هذه الجبينة فلها غيورٌ تخشى سطواتها على اللاتي تقار منهن ؛ ولولا ذلك لكلمتني في هذا التلفون إحدى الحور العين

قلنا : أو تقار منها الحور العين ؟

قال المجنون الثاني : بل الأمر فوق ذلك ، فإن الحور العين يستلمها ويلبسها ؛ « فما حفظناه » هذا الحديث : لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجها من الحور العين : لا تؤذي فانك الله ؛ فانما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك الياء

قال (نابتة القرن العشرين) : وبلى على المجنون ! إنه يريد أن يخلو له موصى فهو يتمنى هلاكه وانتقال وشيكاً من هذه الدنيا . وهو يقول بنير علم لأنه أحق ليس له عُدَّة من العقل ، فيزعم أنها تؤذيني ، ولوهي آذنتي لنضبت قبل ذلك ، ولو غضبت لرقت التلفون . صه إن الجرس يدق

قال ا. ش : إن للتواضع شيئاً عجيباً ، ففي مديرية الشرقية وجلّ نابتة ماتت زوجها وتركت له غلاماً فتزوج أخرى وهو يعيش في دار أبيه . فلما كان عيد الأضحى سال أباه مالاً يبتاع به الأضحية فلم يطمه . وهو رجل يحفظ القرآن فذكر قصة إبراهيم عليه السلام ورؤياه في المنام أنه يذبح ابنه ، فيقبل إليه أن هذا باب إلى النبوة وأن الله قد أوحى إليه ، فأخذ النلام في صبيحة العيد وهم يذبحه . ولولا أن صرخ النلام فأدركه الناس فاستنقذوه

قال (نابتة القرن العشرين) : هذا مجنون وليس بنابتة ؛ بل هذا من جهلاء المجانين ؛ بل هو مجنون على حدته . وقد رأيت في البيارستان حين كنت أبا في المستشفى . . . فكان يزعم أنه ائتمر في ذبح غلامه بإرادة الله . ولو كانت إرادة الله لنفقت بالذبح ، ولو كان الأمر وحياً أنزل عليه من السماء كبش يذبحه

أنا لم أر (نابضة القرن العشرين) في الرؤيا ولكن رأيت في المرأة عند الحلاق . . . ورأيت يقلدني في كل شيء حتى في الإشارة والقومة والقعدة ، ولكن صرخت في نفسي وسببت ففتحت فمها ثم خافت ولم يتكلم . . .

وأومأ إلى المجنون الآخر وقال : وأنا أقدم هذا في النبوغ بأكثر من علم العلماء في خمس وستين سنة

قال ا. ش : لقد قلتها مرتين كلتاها بمعنى واحد ، فما معنك في هذه الثالثة ؟

قال : هذا الخرف يزعم أنني لا أعرف كيف أصلي ، ويستدل بذلك بأنني صليت بالشعر وأنني شتمته وأنا راكع ؛ ولو كان قاتلاً لعلم أن شتمى إياه وأنا راكع ثواب له . . . ولو كان نابغةً لعلم أن الشعر كان في مدح دولة النحاس باشا وأولى الشئ

قلنا : ولكن الشعر على كل حال لا يجوز به الصلاة ولو في مدح دولة النحاس باشا

قال : لم أصل به ولكن خطر لي وأنا أصلي أنني نسيت القصيدة فأردت أن أتحقق أنني لم أنسها . . . قلنا أنا نابضة القرن العشرين في الحفظ وهي ستة أبيات . لا كهذا الممتوه الذي صبر على المتن صبر الغريب على الغريبة الطويلة ومع ذلك لم يحفظه قال ا. ش : فأدمل علينا هذا الشعر . فأدمل عليه (١)

يا حليف الشهد قل لي أين من في الدهر خال
إن تكن تهوى غزالاً أكحل العينين مال
أنا أهواها ولكن لا سبيل إلى الوصال
منذ ولت قلت مهلاً منذ غابت في خيال
أنا مجنون بليل بليل باليل ! تنال

قلنا ولكن ليس هذا مدحاً . فضحك وقال : أردت أن ترفقوا أنني أقول في التزل ، أما المديح فهو :

شغف الوري بمناسب وأمانى وشغف بانحس بالأوطان
حبوا الحياة تفاخروا وتنما وحسبها لله والأوطان
ثم أخرج عليه فمكت . قال المجنون الآخر : أنها ستة أبيات ،

وقد نسيت أربعة ، ولست أريد أن أذكرك

فقال (النابضة) : أظنه قد حان وقت الصلاة وأريد أن أصلي ..

وهكذا أنا في المنطق (نابضة القرن العشرين)

ثم إنه أشار إلى المجنون الثاني وقال : وأنا أقدم هذا في النبوغ بأكثر من علم العلماء في خمس وستين سنة كاملة

قلت : ولكنك ذكرت هذا من قبل فلم تعدت فيه الآن ؟

قال : إن السبب قد تغير فتغير معنى الكلام ؛ وقد بدا لي

أنه ينبغي هلاكي ليكون هو نابضة القرن العشرين . فمعنى

الكلام الآن : أنه لو عاش خمس وستين سنة « يحفظ المتن » لما

بلغ مبلغ من العلم . هذا رجل نصفه ميت جتونا موتاً حقيقياً ،

ونصفه الآخر ميت جهلاً بالموت المتوى

قال ا. ش : حسبته أن يقلدك تقليد العاربي لأمامه في

الصلاة ؛ وعسى ألا تستكثر عليه هذا فإنه تلميذك

قال المجنون الثاني « بما حفظناه » : لو صور العقل لأضاء

معه الليل ، ولو صور الجهل لأظلم معه النهار . . . ونابضة القرن

العشرين هذا لا يعرف كيف يصل ، فقد وقف منذ أيام يصلي

بالشعر . . . ولما رأيت ناسياً فذكرته ونهته أن الصلاة لا تجوز

بالشعر ، التفت إلى وهو راكع فسبني وشتمني وصرخ في

وقال : ما شأنك بي هل أنا أصلي لك أنت ...

فغضب « النابضة » وقال : والله إن تحسبوني إلا عجنونا

فتريدون أن يقلدني هذا الأحمق الذي ليس له رأي يحسبكم ..

ولولا ذلك لما اعتقدتم أن تقليدي من السهل الممكن ، ولعرفتم

أن نابضة القرن العشرين نفسه لم يستطع تقليد نابضة القرن العشرين

قلنا : هذا صيب ، وكيف كان ذلك ؟

فضحك وقال : لا أحدكم من الأذكياء إلا إذا عقلتم كيف

كان ذلك

قال ا. ش : هذا لم يعرف مثله فكيف نعرفه ، ولم يتوهمه

أحد فكيف تتوهمه ؟

وقلت أنا : لملك رأيت نفسك في الرؤيا

قال : لو لم تكن أستاذ نابضة القرن العشرين لما عرفتها ؛

وهذا نصف الصواب ؛ وما دمت أستاذي ، فلو أننا اختلفنا في

رأي لكان خلافتك لي سواباً لأنه منك ، وكان خلاقي لك سواباً

لأنه مني ؛ فانت (غير خطيء) وأنا مصيب ، وإذا أسقطنا كلمة

(غير) أظن أنا مصيباً وتكون أنت مخطئاً . . .

(١) هنا شعره مجزؤه كما أملاه

١ - الصقالية في الرواية العربية وفي الدولة الأندلسية للأستاذ محمد عبد الله عنان

لم يمن العرب في فتوحاتهم الأولى بتعيين الأمم والأجناس الأجنبية تعييناً واضحاً ، وإذا استثنينا الفرس والروم والقبط والبربر والقوط ، فإن هذا التصنيف للأمم والأجناس الأجنبية يتخذ في الرواية الإسلامية صفة التعميم التامض ، فتجد كلمات « الأعاجم » و « النصارى » و « الفرنج » تطلق على أمم وأجناس متباينة لا يمكن تحديدها وتعيينها إلا على ضوء الحوادث والظروف ؛ بل نجد كلمة « الروم » ذاتها تطلق في الرواية الإسلامية الأولى على الرومان وعلى سكان الدولة الشرقية (الدولة البيزنطية) اليونانيين وأحياناً على سكان المستعمرات الرومانية مثل الشام وطرابلس ؛ وتطلق كلمة الفرنج لا على أمة الفرنج (الفرنكيين) وحدها ، بل على معظم الأمم والممالك النصرانية التي كانت تعيش يومئذ في غرب أوروبا وفي وسطها ؛ ولم تكن الرواية الإسلامية بالتصنيف والتحديد في هذا الميدان إلا منذ القرن الثالث الهجري ، وفي القرن الرابع نجد هذا التصنيف القوي أكثر وضوحاً سواء من حيث اللفظ أو المعنى ، فتجد الرواية الإسلامية تحدثنا عن الفرنج والبلان (الألمان) والبلغار والروس والصقالبة ، وعن انكبردية (بلاد الومبارد) وفرنسة وبرطانية ؛ وهذا التقدم في تصنيف الأجناس والأمم يرجع إلى تقدم بمائل في الجغرافية الإسلامية ، وإلى تقدم الملائق والصلات الدبلوماسية والتجارية بين الأمم الإسلامية والأمم النصرانية

وقد كانت كلمة « الصقالبة » من أغض السكيات التي أطلقت في الرواية الإسلامية على الأجناس الأجنبية الدخيلة ؛ ولم يبق اليوم ثمة غموض في تعريف البلان والأمم الصقلية ، فهي تشمل قسماً من بلاد البلان وتشمل صربيا ورومانيا وروسيا حتى الشرق الأقصى وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا وشرق ألمانيا ؛

ونظر إلى اللاتين في القضاء ثم قال : والبيت الأخير :
لأبقي في المدح غير أولي النسي أوصاف^(١) أو شوق أو مطران
ثم أمر أ. ش. أن يقرأ عليه الشعر فقرأه ، فقال : أحسنت ،
أنظر لي فوق ؛ فنظر ، ثم قال انظر إلى تحت ؛ فنظر ثم سكت
قال أ. ش. : وبمد ؟ قال : وبمد ؟ فإن الناس ينظرون إما إلى
فوق وإما إلى تحت ...

وكان الضجر قد نال مني ، فرجوت أ. ش. أن يلبث
معهما وأذنت لتأبئة القرن العشرين أن يلقاني في الندى
وانصرفت

قال أ. ش. وهو يُنبئني : فما غبت عنا حتى أخذ المجنون
يشكو ويتوجع ويقول : لقد ساق بي الظلم ، وإن (الرافعي) رجل
طسوف ظلم لأنني أكتب له كل مقالته التي ينشرها في
(الرسالة) ... وأجمع نفسي لها ، وأجهد في بيانها ، وأذنب
عقل فيها ، وهو مستريح وادع ، وليس إلا أن ينتحلها ويضع
توقيعه عليها ويبحث بها إلى المجلة ثم هو يقبض فيها الذهب وينال
الشهرة ولا يدفع لي عن كل مقالة إلا قرشين^(٢) ...

قال أ. ش. : فما عنتك أن ترسل أنت هذه المقالات إلى
إلى المجلة فتقبض فيها الذهب ، قال : إن هناك أسراراً أنا
مُحصِنها وكاتمها ، ولا ينبغي أن يعلمها أحد فأنها أسرار ...
قال له : فدع (الرافعي) وأكتب لي أنا هذه المقالات وأنا أعطيك
في كل مقالة ذهبن لا قرشين

قال هذه أسرار ولا أستطيع أن أكتب إلا للرافعي ، لأن
(تأبئة القرن العشرين) لا يجوز أن يدعى كلامه إلا أستاذ تأبئة
القرن العشرين ، ولو ادعاه غيره لكان هذا خطأ من قدر تأبئة
القرن العشرين . وهذا بعض الأسرار لا كل الأسرار ...

قلت : ثم جاء المجنونان في المشية إلى الندى

سنة ١٣٤٧

(لها بقية)

إلى الأستاذ ج. ع. في بغداد : سرى كتاب الصديق الكريم ، ولكن
ما قصة الحبر الأخضر الذي يشبه الزمرد ؟
الرافعي

(١) فسر (صادق) بأنه أستاذ تأبئة القرن العشرين ...

(٢) لا يزال هذا المكين منذ تسعة أشهر يدعى أنه هو الذي يكتب لنا
هذه المقالات ، غير أنه رفع القبة أخيراً فجعلها حصرياً قرشاً ...

بعد أن كانوا يقتصرون على تقلد الوظائف والمهام الصغرى في البلاط وداخل القصر ، مثل وظائف الخدعة السلطانية والنظر على الشؤون المنزلية المحضة كشؤون المائدة والضياف والرياش ، وزمام يسيطرون على شؤون الدولة العليا ، فيتولون الوزارة والقيادة والوصاية أحيانا ويسود نفوذهم في القصر وفي الحكومة . وقد كان هذا النفوذ يرجع في الغالب الى سياسة الدول والأمر ، تعمل لرعايته وإيثاره لبواعث سياسية واجتماعية ؛ وسنقتصر هنا على معالجة مركز الصقالبة ونفوذهم في الأندلس حيث كانت لهم دولة وكان لهم أيما نفوذ

— ٢ —

كانت سياسة الدولة الأموية بالأندلس تقوم منذ البداية على استئناس الموالى والصقالبة واتخاذهم أداة ويطانة ؛ وكانت الظروف المصيبة التي أحاطت بقيام الدولة الأموية في الأندلس ، والخطوب والثورات الجبلية التي تفجرت حول عبد الرحمن الداخل والتي آثارها خصومه ومنافسوه من زعماء القبائل العربية ، هي التي حملته على الاستعانة بالعرب وعلى استطفاء البربر والموالى الذين أزدروه وقت الهمة ومكنوه من توطيد زمامته وإمارته (١) ؛ وقد حافظ خلفاء الداخل على هذه السياسة في جوهرها منذ البداية لشعورهم بأهميتها وضرورتها لمقاومة نفوذ القبائل الخصيمة التي كانت تقفهم السلطان والنفوذ قبل قيام الدولة الأموية ؛ وظهر الصقالبة بكثرة لأول مرة في البلاط الأندلسي في عهد الحكم المتصر حفيد عبد الرحمن الداخل (١٨٨ - ٢٠٦ هـ) ؛ وكان الحكم يشتق مظاهر الفخامة والملك الباذخ ، فقص البلاط الأموي في عصره بالتقدم والحشم من الممالك والصقالبة حتى بلغ عددهم زهاء خمسة آلاف (٢) وأخذ نفوذ أولئك الصقالبة يقوى شيئا فشيئا داخل القصر والبطانة . بيد أنه لبث مدى حين بعيدا عن شؤون الدولة العليا قاصرا على شؤون القصر والخاص

وفي عهد الناصر قوى نفوذ الصقالبة وازدهر ؛ وكان الناصر يجري على سنة سلفه عبد الرحمن الداخل في الاستعانة بالقبائل

(١) راجع فتح الطيب - مصر - ج ١ ص ١٥٦ (٢) ابن الأثير ج ٦ ص ١٢٨

وبعبارة أخرى هي الأم التي تعرف اليوم بالأم « السلافية » أو السلافونية « Slavs : Slavonians » . ولكن كلمة « الصقالبة » في الرواية الإسلامية كانت بيينة جدا عن أن تشمل مثل هذا التصنيف الواسع ، ومع أننا تراها مستعملة في الرواية الإسلامية منذ القرن الثاني للهجرة ، فلها لبث دائما لفظا غامضا متباين المعنى . فمثلا يستعملها البلاذري ، وهو من أقدم رواة الفتوح الإسلامية في أكثر من مناسبة ؛ فيقول لنا إن المنصور « نقل أهل الخيوص وم فرس وصقالبة وأنباط ونصارى من المصيصه وكان مروان أسكنهم إياها (١) » ؛ ومن الصعب أن تضبط المعنى الذي ينصرف إليه لفظ « الصقالبة » في هذا العصر المتقدم . بيد أنه يلوح لنا أن الكلمة كانت تطاق حتى القرن الثالث على سكان بلاد الخزر (قزوين) والقوقاز وما إليها ، ثم اتسع معناها نوتا وأطلقت على سكان البلقان الساكنين للدولة البيزنطية مثل البلقان ؛ وقد كان الصقالبة في الواقع يستعمرون هذه الأنحاء في تلك العصور ، وكانت لهم في بلغاريا مملكة « صقلية » حقيقية . وكان معنى الكلمة أوضح وأدق في الغرب الإسلامي ، في الأندلس وصقلية والمغرب ، حيث كانت تطلق على الأجناس الصقلية الحقيقية التي تسكن حوض البانوب الشرق والأوسط وألمانيا وضيقات الادرياتيك ، ويؤتى منها الى الأندلس والغرب بإلخميان والأسرى (٢) ؛ ويعرف الشريف الإدريسي بلاد الصقالبة بأنها هي شبه جزيرة البلقان ، وهو في الواقع معني أقدم من عصر الإدريسي ، بيد أن الإدريسي يشير على ما يظهر الى التحديد السياسي حيث كانت مملكة الصقالبة (بلغاريا) تنود يومئذ بلاد البلقان (٣)

وعرف الصقالبة وعرفتهم القصور الإسلامية في عصر مبكر جدا ، فنجد الدولة الأموية يجدهم في بلاط الخليفة وفي الجيش ؛ ولكن نفوذهم الحقيقي في القصور الإسلامية يبدأ منذ القرن الرابع الهجري ، فزمام عندئذ يتقلبون في الوظائف والمهام العليا

(١) فتوح البلدان - مصر - ص ١٢٠ (٢) ويرى البعض أن كلمة صقالبة العربية مشتقة في الأصل من كلمة Eclaire الإفريقية (الفرنسية) ومعناها التريق والأسير (راجع رينو Invasions des Sarrasins en France من ٢٣٧ وللراجع) (٣) قارن المنصورق بارتولد Ency. de l'Islam; Slaves:

العربية ذات العصبية والياس وفي إقصاء زعمائها عن مناسب النفوذ والثقة ؛ وكان يعمى أئى الاستئثار بالسلطة حتى لقد أئى وظيفة الحاجب ، وجمع مقاليد الحكم كلها فى يده ؛ وعهد بالناسب الكبيرة الى رجال وئىى الثبت من الصقالبة والوالى المعقن أو الأرقاء ؛ وهم رجال لا إرادة لهم بوجههم كيفما شاء ؛ وكان يثق بالصقالبة بنوع خاص ويولهم من النفوذ ما لا يوليه سواهم^(١)

ومنذ أواسط عهد الناصر يبدأ نفوذ الصقالبة الحقيقى فى بلاط قرطبة . وقد كانت كلمة الصقالبة تطلق فى الأندلس كما قدمنا على الأسرى والخمسان من الأجناس الصقلية الحقيقية ؛ ولكنها غدت تطلق بمضى الزمن على جميع الأجانب الذين يخدمون فى البطانة وفى الجيش ؛ ولما استحكم نفوذ الصقالبة واستأثروا بحماية الخليفة والقصر ، أئخت الكلمة تطلق منذ عهد الحكم المستنصر على الحرس الخلائق^(٢) وقد انتهت الينا عن صقالبة الأندلس فى هذا العصر رواية شاهد عيان هو الرحالة البغدادى ابن حوقل الذى زار قرطبة والزهراء فى أواخر عهد الناصر أو أوائل عهد ابنه الحكم المستنصر وبحث أحوال الصقالبة وكتب عنهم فى رحلته ما يأتى :

« وبالأندلس سلاح كثيرة ترد إلى مصر والمغرب ، وأكثر جهازهم الرقيق من الجوارى والفلان من سبى - فرنجة وجليقية . والخدم الصقالبة وجميع من على وجه الأرض من الصقالبة الخمسان من جلب الأندلس ، لأنهم بها يمحسون ، ويفعل ذلك بهم تجار اليهود عند قرب البلد ؛ وجميع ما يسبى الى خراسان من الصقالبة فباق على حالته ، ومقر على صورته . وذلك أن بلد الصقالبة طويل فسيح ، والخليج الآخذ من بحر الروم ممتد على القسطنطينية واطرابندة يشق بلدهم بالعرض ، فنصف بلدهم بالطول يسبىه الخراسانيون ويملون ، والنصف الشمالى يسبىه الأندلسيون من جهة جليقية وفرنجة وانكبرده وقلورية ، وبهذه الديار من سببهم الكثير باق على حاله »^(٣) ، ومعنى ذلك أن الصقالبة الأندلسيين كانوا مزيجاً من الجليقيين (النصارى الأسبان)

والألمان والفرنسيين (أهل افرنجية) واللومبارديين (أهل انكبرده) والايطاليين (من قلورية) وكذلك الروس وهم أهل القسم الأول من بلاد الصقالبة . وكان معظم هؤلاء الصقالبة يؤتى بهم أطفالاً من الجنسين بواسطة خوارج البحر (القرصان) وبحار الرقيق ، ويحملهم سفن القرصان أو سفن البنادقة إلى مختلف نفود البحر الأبيض ؛ وكانت الكنيصة تقاوم هذه التجارة المثيرة وتحرمها ؛ بيد أنها كانت تجرى فى رومة عاصمة النصرانية ذاتها ؛ وفى معظم النفود الايطالية . وكانت الحرب مصدراً آخر لجلب هؤلاء الصقالبة ، فى كثير من الغزوات الاسلامية المنظمة لأهم النصرانية ؛ وفى الحملات والغزوات البحرية الناهبة كان المسلمون يفتنمون كثيراً من السبى والأسرى صفاراً وكباراً ، ومنهم الصقالبة الذين يخدمون جنداً مرتزقة فى معظم الجيوش النصرانية ؛ هذا عدا الرقيق والأسرى من مختلف الجنسيات والأهم يتدفقون على النفود والعواصم الاسلامية عقب كل فتح أو غزوة ناجحة^(٤) وكان الصقالبة يختارون فى الغالب أطفالاً من الجنسين ، ويربون منذ الحداثة تربية عربية حسنة ، ويلتقون بمبادئ الاسلام ؛ وقد نبغ بعضهم فى النثر والنظم وسنفوا الكتب والقصائد ، وبلغوا فى عهد الناصر قسماً وافراً من السلطان والنفوذ ، واحتلوا الوظائف الكبرى فى القصر وفى الإدارة والجيش ، وأحرزوا الضياع والأموال الوفيرة ؛ وفاق عديم فى عهد الناصر أى عهد آخر حتى قدر بعض المؤرخين عددهم يومئذ فى القصر والبطانة بثلاثة عشر ألفاً وسبعمائة وخمسين ، وبلغوا فى رواية أخرى ستة آلاف وثمانين ، وفى رواية ثالثة ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسين ؛ وعلى أى حال فقد كان منهم الحرس الخلائق ، ورجال الخالص والحشم ، وكان الناصر يمد لهم فى السلطان والنفوذ ويرغم أشرف العرب وزعماء القبائل على الخضوع لهم لئلا بذلك أنوفهم ومسحق هيئتهم^(٥) بل كان منهم فى عهد الناصر قائد الجيش الأعلى نجدة ، ومعظم أكاير القادة والضباط ، وكان منهم أفلح صاحب الخيل وددى صاحب الشرطة ؛ ومنهم ياسر وتعام صاحبان النظر على الخالص^(٦)

(١) راجع رضى - الكتاب المشار اليه ص ٢٢٧ - ٢٢٩

(٢) Dozy ; idib ; II p. 153 - وراجع فتح الطيب ج ١ ص ٢٦٥

(٣) البيان المغرب ج ٢ ص ٢١٣ - وضع الطيب ج ٦ ص ١٧١

(١) Dozy ; Hist des Musulmans d'Espagne ; II P 153

(٢) Lévy - Provençal : Essy de l'Islam - Slaves

(٣) ابن حوقل فى المسالك والممالك ص ٧٥

من زكريات لبنان

الحذاء الذهبي للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

« استيقظت ! »

وكانت قد أغضت ، وهي قاعدة على دكة تحت شجرة صنوبر ،
وذراعا على سور النافورة ، ويسراها على حجرها ، ثم فركت
عينها فقلت :

« والآن أرجو أن يلهمها الله ألا تغير جلستها ، فانها هكذا
أحلى ! »

فطقت ساقاً عن ساق ، وتناولت حقيبتها الصغيرة وفتحتها
ونظرت في المرأة ، ثم أخرجت منديلاً ، وجعلت تلمس به وجهها
في مواضع فقلت :

« ولها جيد جميل أيضاً .. وأنا ملها غضبة .. الآن صرت
لا أرى عيياً في قول من يقول إن هذا من دم المشاق ! »

فابتسمت وقالت : « كأنها تحدث نفسها - ماذا يقول هذا
الرجل ! »

فقلت ، وأنا أنكث الأرض بعود صغير في يدي : « إنه
يسأل : أراك زوجته ؟ »

فزوت ما بين غينها وقالت : « زوجته ؟ زوجة من ؟ »

قلت : « زوجتي أنا ! »

فصاحت : « إنه ؟ »

وكان لهذه السياسة غير بعيد أسوأ الأثر في انحلال الجيش وفقد
قواه اللعوية لما جاشت به سدوز الضباط والجند العرب من
الحفيظة والمخبط على هذه السياسة المهيبة ، وكانت هزيمة الناصر
في موقعة الخندق الشهيرة (الانديجا) أمام نصارى الشمال (١٩٣٧ م)
ترجع من وجوه كثيرة إلى هذا الانحلال المنوي
الذي سرى إلى الجيش من جراء الاتحاد القومية والطائفية (١)

لبحث بنية
محمد عبد الله عتاه

(نقل منوع)

(١) Dory ; idib ; II p. 153

قلت : « زوجتي ... تعرفين الكلمة ؟ .. يتزوجونها هنا
بالزاي والواو والجيم ، وأتزوجها أنا بالباء والياء و... »

وكانت تنظر إلى مبهوة ، ثم ابتسمت وصالتني :

« هل تنق أنك لا تستطيع أن تعرف زوجتك حين تراها ؟ »

فأملت السؤال وقلت : وأنا أشير بالمود التي في يدي :

« إنك هي ... أو أنت عيناها ، وجيدها وساقها ... »

فخيل إليها أنها فهمت وقالت : « أووه ! ألك زمان طويل
لم تراها ؟ »

قلت : « طويل جداً ... ربيع ساعة ! »

فصدتها هذا فقطبت وقالت : « إنك تسخر مني » ومدت
يدها إلى الحقيبة

فقلت : « لا تسجلي ! ألم أقل إنك هكذا أحلى ! وعلى ذكر
ذلك أسألك : كيف يمكن أن تأكل بهذا القم الصغير ؟ »

فقلت : « إن ذاهبة ... اسمع لي »

قلت : « إنها ذاهبة ؟؟ هل سمع أحد بمثل هذا ؟ ليت
شعري كيف تستطيع أن تمشي في مثل هذا الحذاء الدقيق ؟ ثم
تجبي زوجتي فتوسمي تانيكاً ! »

وكانت تم بالقيام ، فترددت ، ثم سألتني :

« من أنت ؟ إن أريد أن أعرف »

فقلت ، وعيني إلى الأرض : « إنها تسأل ؟ بداية حسنة على
كل حال - خطوة في الطريق القويم - وبني رأيت امرأة تنق
بأن تسأل من يكون الرجل ، فاعلم بأن الأمل في ... »

فانتفضت ثمة وقالت وهي طابة : « سأذهب »

ولكنها لم تكذب بخطوة واحدة حتى صرخت وارتدت
فانحطت على الدكة ، وانحنى فدت يديها إلى قدمها اليمنى ،
فأسرعت إليها أسألها ما الخبر ، وكانت قد خلعت الحذاء وودست
فيه أصبعين تحس بهما ، فقالت : « سبار ! ماذا أصنع ؟ »

فأخذت الحذاء ونظرت فيه ثم قلت : « من كان يتصور أن
هذا الحذاء الصغير يمكن أن يسكنه سبار ضخيم كهذا ؟ والآن هل
يمكن أن يكون في حقيبتك عثة أو ممول أو فأس أو أي شيء
أصغر أو أكبر نلق به هذا السبار للملحون ! »

فقلت وهي تضحك : « لا تمزح من فضلك ! »

قلت : « هذا أحسن - نعم يجب أن نضحك إذا لم نستطع أن نقل ما هو خير من ذلك ؟ »

فقلت : « ولكن ألا تستطيع شيئاً ؟ »

وتلفتت فقلت : « أستطيع أن أضع النعل على وجهي ، وأقبض على رأس السمار بأسناني ، وأشد ... هكذا »

فصاحت بي وهي تتلوى من الضحك « أرجو .. أرجو .. »

فقلت : « أعرف ما تريدن بغير حاجة إلى رجاء ... أن أحملك إلى حيث تقصدين »

فناض الابقسام ، واعتدلت في جلستها وقالت : « أنظن أني أسمع لك بذلك ؟ مستحيل ! »

قلت : « ولم لا ؟ إنك أخف من الريشة ، وفي وسعي - بعد قليل من التدريب - أن أظهر بك على السرح ، وأمشي بك على الجبل ، محمولة على أسناني »

فضحكت ثم قالت : « إنك فظيع ! »

قلت : « بالمكس ... إلى لطيف جداً ... »

فقاطعتني ضاحكة وقالت : « دع لطفك الآن ... »

- قبل أن تعترقي به ؟ هذا مطلب بعيد !

- وقل لي ما السمل ؟

فقلت : « العمل أن تجلسي حيث أنت - وإن كنت ساحرم منظر كالفان وأعود أنا إلى « القهوة » ثم أكر إليك بالحناء في يدي - لا في رجل - بعد أن تطرد هذا الطفيل »

وانحدرت إلى حيث « القهوة » وهزت مرتين أو ثلاثاً ، فآمنت أن العجة من الشيطان ، ولكني مع ذلك ، وعلى الرغم مما أصابني ، ظلت أعدو كأن ورائي ألف كلب من كلاب الصيد ، وحررت بين أشجار القهوة فوقفت أنادي : « يا حاج الياس ! يا حاج الياس ! »

فأقبل عليّ اثنان من أعوانه ؟ فأشرت إليهم بالحناء وطلبت شيئاً أخرج به السمار

وكانت زوجتي - مع أولادنا - على مقربة مني ، وكانت ترائي

ولا أراها ، فقلت : « ما هذا ؟ »

فدبرت حتى واجهتها وقلت : وأنا أمشي إليها :

« هذا ؟ آه ! هذا حذاء جميل »

فدهشت وسألتني : « من أين جئت به ؟ أين وجدته ؟ »

قلت : « لا تأملوا عن أشياء إن تُبَدِّلَ لكم ... صدق

الله العظيم ... خذني جريه ! اخلني هذا ... »

وانترعت حذاءها الأيمن ، وذهبت أعدو به

« ولكن هذا ليس حذاءي ؟ »

قلت : « يا فتاتي المتبطرة .. هو حذاء والسلام .. تستطيعين أن تلبسيه وتمشي به وتقطعي أربعمائة متر ، ثم تخليه لا شاكرة ولا مشكورة ، ثم تلبسي حذاءك الجميل ، وتقدمي به كما أنت الآن ... رشيقة أنيقة ... فاتنة الجيد ... ساحرة العينين ... وتروحى تهندري مع زوجتي التي تصب على رأسي الآن أحر اللعنات ... ومن يدري ؟ إذا لم تسجلي قبل أن يطأني بها الحنق والسخط ، فقد تلقى بمخائك في البركة ... إن النساء هكذا ... حذاءك جميل ، ولكن كل امرأة تمتد أن حذاءها هي أجل وأقدس هيا بنا ! »

فوقفت وهي تقول : « ولكني لا أستطيع أن أبشي به ... واسع ... »

قلت : « لا تذي زوجتي - أعني قدمها ، فإنها جميلة ... ثم إن الشئ في حذاء واسع خير من الشئ في حذاء في جوفه مملوء ... تعالى بالله قبل أن يفرق في البركة »

فتوقفت وصوبت عينها إلى قدميها وقالت : ولكنه فضي وحذاءي ذهبي ؟ »

قلت : قوس قزح ... تعالى ... أترانا في ممرض أزياء هنا ؟ نحن في هذه اللجنة المفروسة على جبال « الثور » ولا أجد معنا ولا ثالث لنا إلا إلا الهوى ... كآدم وحواء ... وظي ذكر ذلك أظن أن حواء كانت تلف ذراعها بذراع آدم إذ يسيران في الجنة »

وقالت زوجتي ونحن مقبلان عليها :

« لم أر مثلك أبداً في الدنيا ! »

قلت : « سدت يا امرأة ! وأين تجددين في هذه الدنيا نظيري »

قالت محتجة : « تحطف حذاءي وترمي لي هذا ... »

وأشارت بازدياد إلى حذاء الفتاة ، وكان ماني على الأرض

قصة المكروب

كيف كشفه رجالة

ترجمة الدكتور أحمد زكي

وكليل كلية العلوم

كوخ KOCH

رابع غزاة المكروب

طبيب الثغرة الذي طير بالطب لجهله أسباب الفاء ثم ادعاه علاجه ؟ الذي شغله البحث في أصول الأمراض من مداواة أربابها ؟ الذي حقق أحلام بختور وأثبت أن للمكروب ينتج الأمراض ، وأن لكل مرض مكروباً يخصه ، ونحبه وحده ؟ الذي علم الدنيا كيف تصطاد النوع الواحد من المكروبات ، وتصطاده خالصاً خالياً من الأخلط ؟ الذي كشف مكروب الجرة الخبيثة ، فأنقذ الناس من الأخطار ، ومكروب السل قاتل الإنسان والحيوان ؟ الرجل الذي كشف مكروب الكوليرا على أرض مصر في أجسام ضحاياها . البطل الذي نزل بساحات الموت فأظفته فيها أروع بنوده ، وفاتته على أرضها أنك جتوده ، فأمر منها على هواه ، وخرج عنها سالماً قد أخطأه سهاها قضاء وقدره المترجم

كان كوخ قد اعتزم أن يسبح في الأرض ويضرب في مجاهلها ضرباً ، ثم غلب ، وها هو ذا يبدأ سياحات غريبة في مجاهل أشد غرابية . إلى أحياناً أقرن كوخ بلوفن هوك فأجد الأول أعجب وأعرب في صياوته المكروب وأكثر انهماكاً ، وأجد كليهما على السواء عصامياً في كسب العلم . كان كوخ رجلاً فقيراً يرتقى من صناعة الطب ، وكل ما عرف من العلم هو ما تضمنته مقررات الطب في مدارس ، وعلم الله ما كان في هذه الدراسة شيء . يصلم ممارسة التجارب ويدرب في فن التجريب . ولم يكن لدى كوخ من أدوات التجربة غير ذلك المكربسكوب القوي أهده إليه زوجه المخلصة إيمي في عيد ميلاده ، أما هذا من الأدوات فكان عليه أن يحتمل لتدبيره وتصميمه وأن يصنعه بيده من قطع الخشب وخيوط القنب وشمع الأستام . وترك يوماً مكربسكوبه وفترانه وجاء زوجته يجبرها في محمّس بالجديد المنجب الذي وجد ، لما

قلت : هس ؟ إن العن منى ، أعني المشولة عن الجرعة والمحزنة على ارتكابها »

فصاحت الفتاة وضربت بكفها على صدرها : « أنا ؟ » ونظرت زوجتي إلى قديم الفتاة ثم نهضت وأقبلت عليها وقالت ، وهي تمد إليها يديها :

« أوه ! لم أكن أعرف ؟ ولكن كيف استطعت أن تمشي فيه ! إنه واسع ... ورجلك أصغر ... وأجل أيضاً ! »

فالتفت إلى الفتاة وقالت : « أتسمين يا هذه ؟ إنها تقر لرجلك بالزينة ! وجيدها ! أليس ساحراً يا امرأة ؟ أأنت معذوراً إذا انتهيت أن آكله ؟ وعينها ؟ وهذا القم المجيب الذي لا أدري كيف ينسج للكلام ، وإن كان قد اتسع جداً لقم حذائك يا امرأة ! »

فربت الفتاة وصاحت : « أنا ذممتي ؟ حرام عليك ! » فقلت : نعم ... جداً ... قلت أنه واسع عظيم ، وأنه يذكرك بالباخرة تايتانك ، وأنه يسع جيشاً عرمرماً من الأقدام الكبيرة النليظة ، وأنه ...

وكانت زوجتي تضحك ، أما الفتاة فقد خيل إلى أنها ستحفظ على الأرض

وقالت زوجتي : « فظيع ! ألا تقفل هذه البوابة ! لأنبأى به يا حبيبتى ولا تلتفتي إليه ... انه هكذا دائماً ... والآن خذى هذا السبار واحتفظي به للذكرى »

قلت : « وأنا ! ما أجدى على التمس ! لقد قطعت كيلومترا في القهاب والاياب - تطمته عدوا ... وهذه الأحذية على راحتي الطاهرة »

فقلت زوجتي : « جزاؤك أن تقدم مع الأولاد ، ونذهب نحن نتمشي »

قلت : « هذا جزاء سنار ... لا بأس ! مجنون من يصنع معروفاً في بنت من بنات حواء »

فقلت زوجتي : هذا رأيك ؟ إذن لن أدموها إلى المشاء معنا ! »

فصحت : « لا لا لا ... إنما أعني بنتاً من بنات آدم » فضحكت الفتاة ، ودمتني زوجتي بفسنقة

إبراهيم عبد القادر المازني

كان من السيدة الطيبة إلا أن قلصت قصبة أنفها في اثمناز ظاهر وقالت له : ولكن يا روبرت ، إنك كره الراحة جداً بعدئذ وجد طريقة أكيدة ينقل بها مريض الجرة إلى الفران .

لم يكن لديه محقق يحقن به الدم القاتل فيها في سهولة ، ولكن بعد خيبات ولذات وخسارة عدد طيب من الفران السليمة ، انتهى إلى أن يأخذ قلعاً من الخشب فينطقها جيداً ثم يستخنها في الفرن ليقول ما قد يكون عليها من السكريات العادية ، ثم يغمسها في قطرات من دم الأغنام التي قتلها الجرة ، ثم يدخل أطرافها بما عليها من الدم في جرح جرحه عشر طيف في أذنان تلك الفران . ولا تسألني كيف قبض عليها فكسها وهي ترقص وتتلوي بين يديه . وكان يضع هذه الفران في أقفاص وحدها ثم يشعل يديه ، ويخرج ليمود طفلاً مريضاً على سبيل تخليص الذمة ، ورأسه لا يزال مليئاً بالأشياء من كل شيء : « أيموت هذا الفأر بداء الجرة ثم يامدام اشيت ، يستلج اشك أن يمود إلى المدرسة في الأسبوع القادم أرجو ألا يكون هذا الدم الملوث بالجرة دخل إسبي من الجرح الذي فيه . . . » . هكذا كانت كوخ حياة كوخ موزعة بين محته وطبه

وأصبح الصباح ، وجاء كوخ إلى العمل البيت الذي صنع يده ، فوجد الفأر ماني على ظهره وأرجله في السماء ، وقد تصلب جسمه وانتفش شعره ووقف على جلده وكان بالأس من متسطاً على ظهره في ملالة ونعومة . وبعد أن كان أبيض صار أزرق رماسياً ، فأحى كوخ سكا كينه في النار ، وربط الفأر المسكين على شريحة من الخشب ، وشق بطنه فكشف عن رثيته وكبدته ، وشرحه حتى وصل إلى كل ركن من جسمه وحدق فيه : « نعم . نعم . إن بطنه يشبه بطن الشاة الجمورة وهذا طحاله ، ما أسوده وما أضخمه إنه يكاد يملأ كل بطنه » وأسرع كوخ فشق الطحال المستخيم فخرى منه الدم الأسود ، فأخذ منه قطرات ووضعها تحت مجهره ، وتعم أخيراً لنفسه : « هاهي الصبي وها هي الخيوط بعينها إنها تكاد تملأ دم الفأر كما ملأت دم الشاة » وفرح كوخ فرحاً شديداً لأنه أثبت أنه بذلك استطاع أن ينقل إلى الفران أمراض الشاة والأبقار والانسان ، والفران قليلة الثمن ، صغيرة في اليد ، سهل تناولها عند التجريب . وفي الشهر الذي جاء من بعد ذلك لم يكن

لكوخ عمل إلا حقن فأر حي من بعد فأر ميت . يأخذ قطرة الدم من طحال الفأر الميت فيحقنها في ذيل فأر حي صحيح . ثم يصبح الصباح فيجد هذا الفأر قد مات من داء الجرة ، فيمتحن دمه فيجد به الملايين من تلك الخيوط المتخالطة والمعص المتكثرة يجدها ساكنة لا حراك بها ، صغيرة متضائلة لا يزيد طولها على جزء من ألفين من المليمتر الواحد

وأخذ كوخ يتفكر : « هذه المعص لا حركة فيها ، ولكن مع هذا لا بد أن تكون حية . إن قطرة الدم التي أحقنها في الفأر ليس بها غير مئات من هذه المعص ، ولكنها لا تلبث في دمه أربعاً وعشرين ساعة حتى تكون قد تكاثرت فلبثت البلايين ، ويكون الفأر قد مريض بها ومات ولكن كيف السبيل إلى رؤيتها وهي تتكاثر ؟ كيف السبيل وجلد الفأر لا يشف عما تحته ؟ » وأخذ هذا السؤال ير في أذهنه وهو يحس نبض مرضاه وينظر في أنسنتهم . فإذا جاء العشاء أكل عشاءه سريعاً ، وغمغم بوجهه تحية للماء لتنام ، وذهب هو إلى تلك الفرقة الصغيرة قد ملأها رائحة الفيران والمطهرات الكيميائية وأغلقها على نفسه ، ثم أخذ يفكر كيف يكثر تلك المعص خارج جسم الفأر . وكان كوخ في هذا الوقت لا يدري شيئاً عن أحشاء الحمار التي صنعها يستور ولا عن قبابته ؛ أو إن هو دَرَى ، فالنظر القليل منها ؛ لذلك كانت تجاربه لتكثير تلك المعص تجارب المتكر الأول ، فيها التواء وفيها تعقد ؛ كانت كتجارب الرجل الأول يريد أن يسطع لنفسه نارا

قال كوخ : « سأحاول أن أكثر هذه الخيوط في سائل أقرب ما يكون إلى سوائل الجسم ، سائل مصنوع من مادة الأجسام نفسها » . وأتى بعين ثور وأخرج منها بعض مائها ، ووضع في هذا الماء فُتَيْتَةً كس الدبوس من طحال فأر قتله المرض . ثم قال : « هذا غذاء لا شك مستطاب لهذه الخيوط ، ولكن لعلها تتطلب غير الغذاء الطيب حرارة أجسام الفران كذلك » وصنع بيديه مدقاً غير جميل وسخنه بمصباح زيت ، ثم وضع في هذا المدق المرتجّل شريحتين متلاصقتين من الزجاج الرقيق كان قد وضع بينهما سائل عين الثور وفُتَيْتَةُ الطحال . وذهب لينام . ولكنه لم ينام . ففي منتصف الليل قام ليخفّض فتيلة المصباح مدقته ، وكان قد ملأ منها اللسان . وبدل أن يمود

فينام ، أخذ ينظر للمصى بين شريحتي الزجاج مرة بعد أخرى .
وخال أحياناً أنه وآما تتكرر ، ولكنه لم يكن على يقين من ذلك ،
لأن مكروبات أخرى من التي تمسح وتثب وجدت سيلها بين
الشريحتين على طادتها ، وزادت في تكرارها على عصي صاحبنا
الدنية للهلكة وظفت عليها

قال كوخ لنفسه : « هذا عمل غير نافع ؛ هذه المصى لا بد
من تكريرها هي وحدها خالصة نقية من كل مكروب آخر »
وأخذ يفكر في الوصول الى هذا حتى أكده الفكر . وأخذ
يحتال ويتدبر حتى صار الاحتيال هما والتدبر غما

و ذات يوم تراءت له طريقة يروض بها عصيته وهو يرقبها .
طريقة غاية في البساطة غاية في السهولة لا تحتاج للفكر الكثير
قال كوخ : « سأضع تلك المصى في ، قطرة عالقة ، فلا يصلها
من المكروبات الغريبة شيء » . ثم جاء بقطعة صغيرة رقيقة
مفرطة من الزجاج الرائي ، وسخنها حتى يقتل ما قد يكون
عليها من المكروب ، ثم وضع عليها قطرة من سائل عين ثور
سلم قفبي عليه الجزار حديثاً ، ثم غمس في هذه القطرة قطعة
غاية في الصغر من طحال فأر مات من داء الجرزة حديثاً . وبعد
ذلك جاء بشريحة كبيرة غليظة مستطيلة من الزجاج ، كان قد قرر
في وسطها قرة عميقة واسعة ، ودهن سطحها مما يلي حافة النقرة
بشيء من القز لين vaselina ، ثم قلب هذه الشريحة الكبيرة
السميكة على الأخرى الصغيرة الرقيقة التي عليها سائل العين
وطحال الفأر بحيث تقع النقرة فوق القطرة ولا تمسها ، فالتصقت
الزاجتان بالزئرين فكانتا كقطعة واحدة . ثم عاد فقلبها مما في
مرعة وحقق فصارت قطعة الزجاج الصغرى هي العليا وتمالت
منها قطرة السائل بما فيها من الطحال وعصيته الكثيرة ، وقد
انجبت في تلك النقرة انحباساً كاملاً فلا تستطيع المكروبات
الأخرى الدخول اليها . تلك هي « قطرة المعلقة » . ولم يدر كل
كوخا لم يقدّر كل التقدير هذه الطريقة الجديدة ، ولم يدرك كل
الادراك سكانها من تاريخ بحث المكروب ومحاربة الانسان أسباب
الوت . وسواء قدرها أو فاته تقديرها فقد كانت ساعة من
أخطر الساعات تلك التي أخطرت هذه الفكرة على باله ، ساعة
لا يسلط إلا تلك التي رأى فيها لوقن هوك أحياء الصغيرة في
ماء المطر أول مرة

ووضع كوخ « قطرة المعلقة » تحت مكروب وجرت
كرسيه وجلس وهو مضطرب ينظر ما تكشف له العدسة وهو
يقول لنفسه : « لا يستطيع شيء أن يدخل إلى تلك القطرة ،
وهي ليس بها إلا المصى » ، فلأرقبها على أعلم من أمر نحوها
شيئاً ، فكشفت له العدسة عن مجال أغبر لم يجد فيه غير قطع
الطحال وقد آسلت وتقطعت وتراءت ضخمة تحت المجهر ،
وغير عصية هنا وعصية هناك طافية بين سائل الطحال ؛
وظل ينظر ساعتين ، وينظر في الساعة الواحدة خمسين دقيقة ،
ولكن لم يحدث شيء . وأخيراً بدأت الرواية التي اضطرب لرآها
طويلة ، وأخذت صورة المجال تحت بصره تتغير وتتبدل كأنما
امتدت لها بالسحر يد ساحر ، واهتز صاحبنا واضطرب ، وجرت
في ظهره رعدة بعد أخرى كلما اختلفت صورة المجال تحت عينه .
إن المصى الطافية القليلة أخذت فلماً في التكاثر ؛ ففي هذا
المكان توجد الآن اثنتان حيث كانت واحدة . وتلك عصية
أخرى تطول بطيئة ولكنها تطول كثيراً ، وهي في استطالتها
تنثنى كالأفعى وتنال أطراف المجال . ولم تمض ساعتان حتى
كثرت تلك المصى كثرة غطت على قطع الطحال فاختلفت
وبلغت أعدادها الملايين فأصبحت في اختلاطها وتداخلها
وتلبسها ككرة من غزل ، أنحل فاختلط فلا رجاء في تسليكه
إلا أنه غزل حتى ، غزل صامت قاتل

وتنفس كوخ الصعداء : « الآن أعلم أن هذه المصى حية
والآن أعلم أنها تتكاثر بالملايين في قراني الصغيرة للكمينة ، وفي
الشيء ، وفي الأبقار . فالعصية الواحدة (البشيرة الواحدة)
أصغر من الثور بلايين المرات ، فإذا هي دخلت الثور نمت
وتمددت وصارت ألوفاً تنسل ألوفاً تنتشر في نواحي الحيوان
الكبير فتتجشئ بها رثسه ويكتظ بها غته وينسد بها دمه ،
لا عن نأر لها عنده ، أو كراهة لها فيه

أصبح كوخ لا يمي الزمن ، ولا يهتم لواحياته ، ولا يصنى
لمرضاه إذ ينتظرونه طويلاً فيملون فيشكون . فكل هذه الأمور
فقدت حقيقتها من نفسه ، وأصبح رأس كوخ لا يمي إلا سروراً .
خفيفة من خيوط الجرزة وهي في اختلافها واختلاطها . وأخذ
يسيد تلك التجربة التي يخلق فيها من البشلة الواحدة ألوف
الألوف من البشلات . فأعادها ناعاً مرات في ثمانية أيام متتابعات .

رباه في سلسلة طويلة من الفئران ، وفي عدد كثير متعاقب من قطراته المائلة

ها هو ذا كوخ يُثبت أول مثبت أن النوع الواحد من بعض المكروب يسبب نوعا واحداً من الأمراض ، وأن هذه المخلوقات الصغيرة قد تمتد في حقارتها على مخلوقات كبيرة عظيمة في ضخامتها فتوردها موارد الموت سريعاً . سبق كوخ كل الرجال في إثبات هذا ، وسبق فيه يستور كذلك ، وهو الذي على سنته جرى وبهديه اهتدى . رى كوخ بخرطه وصنارته ليصطاد تلك الأسماك الضئيلة في المحيط الأعظم وهو واسع بهم . وتفقها ونجس بها وهو لا يعلم من صفاتها شيئاً ، ولا من عاداتها شيئاً ، وهو لا يدري من جرأتها وشراستها شيئاً وهو لا يفرف متى ولا بأي سهولة تنب عليه من مراقبتها وغاباتها ؛ والشئ إذا دق هذه الدقة فكل مكان مخبأ وكل طريق مرصد

يبيع أحمد زكي

مَحَلُّ الْفَلَاحِ

مقالات الأستاذ الراقى

مائة مقالة في جزأين

ألح القراء على الأستاذ « معطى صادق الراقى » في جمع مقالاته ، فهياً للطبع مائة مقالة تقع في جزأين كبيرين ، وقد فتح باب الاشتراك إلى آخر شهر ديسمبر من هذه السنة ، وجعل قيمة الاشتراك في الجزء من عشرين قرشاً صاعاً غير أجرة البريد ومثلثة قروش للداخل القطار المصري ، وخمسة عشر قرشاً للأقطار الأخرى كي يرسل الكتاب مسجلاً وسيكون الثمن بمقدار الطبع أوبعين قرشاً صاعاً ، ولا يطبع فوق عدد المشتركين إلا قليل ، وترسل قيمة الاشتراك باسم الأستاذ الراقى في طنطا ، والقيمون في القاهرة يشتركون من إدارة « مجلة الرسالة »

فبدأ بأن أخذ غصّة يسيرة جداً من « قطرة المائلة » وهي تمج بتلك العصيات فزرعها في قطرات نقية جاء بها من سائل عين ثور سليم . فوجد بكل قطرة من هذه ألواناً من هذه المصيات . ثم أخذ من هذه القطرات الحادثة ليزرع في قطرات جديدة نقية من عين ثور . وهلم جرا حتى استم له من ذلك ثمانى زرعيات قال كوخ : « لقد نسّلت هذه البشيلات ثمانى ذُرّيات متعاقبات ، كلها خالصة من كل مكروب غريب ، خالصة من طحال الفأر الذى اختلطت به أولاً . وهذه البشيلات في هذه الذرية الأخيرة هى أحفاد البشيلات الأولى التى قتلت الفأر . فهل يأتى تقتل هذه البشيلات الأخيرة الفأر والشاة كما كانت تفعل أسلافها الأولى ؟ ... أفتمنوا ترى هذه البشيلات في الفئران وفي الشياه إذا أنا حققتها فيها ؟ أمى يأتى سبب الجرّة الذى لا سرية فيه ؟ »

وأخذ كوخ قُطيرة يسيرة من « قطرة المائلة » - وكانت تترأى للعين المادية عكرة بما تمج به من المكروب - ونشرها على فِلَقَةٍ من الخشب صغيرة ، ثم غرس هذه الفلقة تحت جلد فأر صحيح ونجا هو فلم يمسه سوء . نتجّاه منه تلك العناية الآلهية التى تقوم الى جانب البحات الجريئين المهورين وتمرسهم وتدفع عنهم بمشينة الله شر ما هم فيه

وفي اليوم التالى كان كوخ قائماً على هذا المخلوق الصغير وقد دبّسه الى لوحة تشريحه ، وقد انحنى عليه من قصر في البصر ليراه من قريب . ثم أخذ يحمى مشارطه في النار وقد ملأه الرجاء . ولم تَمُضْ دقائق ثلاث حتى كان جالساً الى مكروسكوبه ينظر منه قطمة صغيرة من طحال الفأر قد وضعها بين رقيقتين من الزجاج ثم تحم لنفسه : « لقد تحقق المأمول ، فهامى الخيطوط ، هاهى العصيات وتلك البشيلات الصغيرة التى في قطرات المائلة ، تلك البشيلات التى أوجدتها بالتنسيل سلاسل متعاقبة تمد لها من القدرة على القتل مقدار ما لتلك التى يأخذها الآخذ مباشرة من طحال الشاة النافقة من داء الجرّة »

رأى كوخ هذه البشيلات أول ما رأى في دم تلك البقرة التى نقت من داء الجرّة زماناً مضى ، يوم كان بمجره جديداً وبهذه تضطرب عليه من قلة التجربة والمران ، واليوم يرى نفس هذا المكروب في دم الفأر للسكين ، وهو هو نفسه المكروب الذى

أمرليات :

٢ - قصة الفتح بن خاقان

للأستاذ عبد الرحمن البرقوقي

يتشابه الفتح بن خاقان وأبو الحسن بن بسام في أنهما كانا معاصرين ، وفي أنهما تصديا للكلام على أدباء الأندلس من العلماء والشعراء والكتاب والوزراء والملوك ممن عاصرها ومن كان قبل عصرهما ، وفي أنهما كانا يرسلان إلى معاصريهما يعرفانهم عنهما ويسألانهم إنقاذ شيء من متوهم ومنظومهم ليندكراه في كتابيهما : الأول في قلائد العقيان ومطلع الأنفس ، والثاني في الذخيرة . قال الهادي الكاتب صاحب خريدة القصر : حدثني صاحب الكبير المالم جمال الدين بن أكرم قال : لما عزم ابن خاقان على تصنيف كتاب قلائد العقيان جعل يرسل إلى كل واحد من ملوك الأندلس ووزرائها وأعيانها من أهل الأدب والشعر والبلاغة ويعرفه عنهما ويسأله إنقاذ شيء من شعره ونظمه وترويه ليندكره في كتابه . وكانوا يرفون شره وتلبه فكانوا يخافونه ويشفدون إليه ذلك وصرر الدنانير ، فكل من أرضته صلته ، أحسن في كتابه وصفه وصفته . وكل من تناقل عن به هجاه وتلبه . وكان ممن تصدى له وأرسل إليه أبو بكر بن باجه المعروف بابن الصائغ ، وكان وزير ابن فلويت صاحب المرية . وهو - أي ابن الصائغ - أحد الأعيان وأركان العلم والبيان . شديد العناية بلم الأوائل ، مستول على أهل الأشعار والرسائل ، وكانوا يشبهونه في الغرب بابن سينا بالشرق ، وله تصانيف في المنطق وغيره ، فلما وصلته رسالته تهاون بها ولم يعرفها طرفه ، ولا لوى نحوها عطفه ، وذكر ابن خاقان بسوء بلنه ، فجعله ختم كتابه ، وصيره مطلع خطابه . وقال : هو رمد جنن الدين الخ وبلغ ذلك ابن الصائغ ، فانفذ له مالا استكف به واستملحه ؛ وصنف ابن خاقان كتابا آخر سماه مطلع الأنفس وصله بقلائد العقيان افتتحه بذكر ابن الصائغ وأثنى عليه فيه ثناء جيل الخ وكذلك ترجمى الكلام على ما كانت بين ابن خاقان وبين التليحوف ابن باجه أو ابن الصائغ إلى ما بعد الفراغ من الوازة بين ابن خاقان وبين ابن بسام ... وقد ظهر لك مما أوردناه هنا

من كلام الهادي أن ابن خاقان كان يرسل إلى أعيان الأندلس ليرسلوا إليه آثارهم ، وكذلك كان يفعل ابن بسام صاحب الذخيرة ... قال التراكشي صاحب المعجب : فما أختار له - أي لأبي عبد الله محمد بن أبي الخصال أحد كتاب الأندلس البلغاء النابهين - فصول من رسالة كتب بها مراجعا لبعض إخوانه عن رسالة وردت عليه منه يستدعي فيها منه شيئا من كلامه ، وهذا الرجل صاحب الرسالة هو أبو الحسن علي بن بسام صاحب كتاب الذخيرة ... وهذا هو محل الشاهد ... ودونك الآن فصولا من هذه الرسالة - أي رسالة ابن أبي الخصال إلى ابن بسام فإنها من طرف الأندلسيين . قال : وصل من السيد المشرق ، والملك المستحق ، وصل الله إنعامه لديه ، كما قصر الفضل ، كتابه البليغ ، واستدراجة التريغ^(١) . فلولا أن يصله زبد اقتداحه^(٢) ، ويرقد طرف افتتاحه ، وتقبط يد انبساطه ، وتقين صفة اغتباطه ، للزمت معه قدوى ، وصنت سريرة صدرى . ولكنني بنفثات سحره يسمع القسم ، ويستنزل المصنم ، ويقتاد الصنب فيصحب ، ويستدر الصخور فتعطب ، ولما بقاني ابتداءه ، وقرع مسمي نداؤه . فزعت إلى الفكر ، وخفق القلب بين الأمن والحذر ، فطاردت من الفخر أوايد قنر ، وشوارد عفر ، تُخبر في وجه سائقها ، ولا يتوجه إلحاق لوجهيها ولاحقها ، فطعت أنها الإهابة والمهابة ، والاسابة والاسترابية ، حتى أياستني الخواطر ، وأخلتني المواطر ، إلا زرجا يعقب جوادا ،^(٣) ويهرجا لا يحتمل انتقادا . وأنى لثلى والقريحة سرجة^(٤) ، والبضاعة سرجة^(٥) براءة الخطاب ، وبزاعة الكعاب^(٦) . ولولا دروس معالم البيان ، واستيلاء الغفاء على هذا الشأن ، لما قاز لثلى فيه قدح ، ولا تحصيل لي في سوقه ربح ... وأنا أعزك الله أربا بقدر الذخيرة ، عن هذه التفت الأخيرة . وأرى أنها قد بلغت مداها ، واستوفت حلاها ، وأنا أخشى القدح في اختيارك ، والاخلال بمختارك ... إلى أن يقول : وعزرا أعزك الله فاني خططت ما خططته والنوم مغازل ، والقر متازل ، والريح تلب بالمراج ، وتصول صولة الحجاج ، فطوروا نصدده سنا ، وقارة تحركه لسانا ، وآونة

(١) يريد المخادع (٢) صله تزود بصله بكسر اللام صوت ولم يخرج نارا (٣) غير في وجهه سبقه (٤) يريد الحجاب الرقيق لا ماء فيه (٥) من الأرباء وهو التأخير (٦) قيلة (٧) ظرف وخفة روح

تطويه حبا به ، وأخرى تنشره ذؤابه ، وتقيمه إبرة لهب ،
وتطفئه برة ذهب . أو حمة عقرب . وتقوسه حاجب فتاة ،
ذات غمزات ، وتسلطه على سليطه ، وتزيله عن خليطه ، وتخلله
نحما ، وتعمد رجما ، وتسل روضة من ذبالة ، وتعيده الى حاله ،
وربما نصبت أذن جواد ، ومسخته حلق جراد . ومسخته
حروف برق ، يكف ودق ، ولثمت بسننه قنديل ، وألقت على
أعطافه منديل ، فلا تحفظ منه العين ، ولا هداية في الطرس
للبدن ، والليل زنجي الأديم ، تجري النجوم ، قد جعلنا ساجده ،
وأعرقنا أمواجه ، فلا محال للحظ ، ولا تمارف إلا بلفظ ، لو
نظرت فيه الزرقاء لا كتحت ، أو خضبت به الشبية لما فصلت ،
والكلب قد صانح خيشومه ذنبه ، وأنكر البيت وطئبه .
والسوى التواء الحجاب ، واستدار استدارة الحجاب ^(١) ،
وجلده الجليد ، وصعد أنفاسه الصديد ، فحياء مباح ،
ولا هرب ولا باح ، والناظر كالحيق ، أو كالصديق ، كلاهما
عقلاء مشرب ، أو نجم مشرب ، استوى الفصل ، ولك في
الأعضاء الفضل ، والعلام ...

وقد حدثنا الفتح في قلائده أنه هو الآخر كتب إلى
أبي عبد الله محمد بن أبي الخصال مستدعيا من كلامه ما بقيته في
الديوان - يريد قلائد العيان - وينبته فيه زهر بستان ، فكذب
اليه ابن أبي الخصال رقعة يقول فيها : الحذر - أعزك الله -
يؤتى من الثقة ، والحبيب يؤذى من الثقة ؛ وقد كنت أرضى
من ودك وهو الصحيح بلغة ، وأقنع من ثنائك وهو السك
بنفحة ، لما زلت تعرضي للامتحان ، وتطالبني بالبرهان ،
وتأخذني بالبيان ، وأنا بنفسى أعلم ، وعلى مقداري أحوط وأحزم ،
والسعيدى يسمع به لا أن يرى ، وإن وردت أخباره تترى
فشخصه مقتحم مؤذى ، ولا سيما من لا يجلى ناطقا ، ولا يبرز
سابقا ، فتركه والظنون ترجمه ، والقال والقيل يقسمه ، والأوهام
تخله وتجرمه ، وتحقيه وتحترمه ، أولى به من كشف القناع ،
والنخلف عن منزله الامتاع ، وفي الوقت من فرسان ، هذا الشأن ،
وأذمار هذا المغار ، وتطان هذه التاهل ، وهداة تلك الجاهل ،

(١) الباب الأول ضم الحاء الحية والثانية بنسبها الطل الذي يصبح
على التيات وحبيب الله ناطقا وعقابه التي تطوق عليه

من محمد فقره الكواكب ، ويترجل اليه منها الركب ، فأما
الأزاهر فلقاة في رباه ، ولو حلت عن المسك حباها ، وصيبت
من الشمس حلاها ، فهي من الوجد تنظر بكل عين شكرى ،
لا نكرى ، وإذا كانت أنفاس هؤلاء الأفراد مبثوثة ، وبهائهم
مبثوثة ، وخواطرهم على عاصم الكلام مبثوثة ، فما غادرت
متردما ، ولا استقيقت لتأخر متقدما ، فعندها يقف الاختيار ،
وبها يقع المختار ، وأنا أنزه ديوانه النزيه ، وتوجيهه الرجيه ، عن
سقط من المتاع ، قليل الامتاع ، ثقيل روح السرد ، مهلك صر
البرد ، إلا أن يعود به جماله ، ويحرس نقصه كاله ، وهبه أهزه
الله قد استسهل استلحاقه ، وطامن له أخلاقه ، أترانى أعلى
الكاشحين في اتبابه يدا ، وأترك عقلى لم سدى ، وما إلتاك
ترضاها لي مع الود خطة خسف ، ومهواة خفف ، لا يستغل غيبتها
ولا يبل طمئنها . . . الخ الخ فهي رسالة طويلة وإن كانت على
طولها محتمة جميلة

موازنة ومفاضلة

والآن فلنعرض للموازنة بين الفتح وبين ابن بسام مادام
بينهما هذا التشابه الذى ذكرنا . . . قال الحيدارى صاحب
المسهب : وهو - الفتح - وأبو الحسن بن بسام الشتمري
مؤلف الذخيرة فارما هذا الأوان ، وكلاهما قس وسحبان ،
والتميز بينهما عسير ، إلا أن ابن بسام أكثر تقييدا ، وعلمنا
مفيدا ، واطنابا في الأخبار ، وامتناعا للأشعار والأبصار ، والفتح
أفدر على البلاغة من غير تكلف ، وكلامه أكثر تسلفا وتشقا
بالأنفس . . . هذا هو كل ما عثرنا عليه للمتقدمين من مفاضلة بين
هذين الفاضلين ، ونحن فنقول : إن التفقد لكتاب الذخيرة
لابن بسام ، وكتابي القلائد والطلمح لابن خاقان ، يتبين له أن الفتح
في الحق أضخم عبارة ، وأجزل أسلوبا ، وأفدر على التنميق والتزيين
والتهويل ، ويغلب ذلك على أكثر تراجمه ؛ وقد بعمل حتى يرى
أثر التقعر محسسا ملموسا ، وهو مع هذه الجزالة والفضخامة ، أقل
تقييدا وعلمنا مفيدا . دح تقصيره في تراجمه من ناحية التحقيق
التاريخي فلا هو يذكر اسم المترجم كاملا ولا نسبه ولا بلده
ومنشأه ، ولا تاريخ مولده ووفاته ، فكأنه يترجم مترجمه لناس
يعرفونهم كل المعرفة ، وإنما الذى يتقصم هو أن يلوا بعض
آثار أولئك المترجمين المرفوقين ، وأن يقفوا على بلاغة الفتح

٥ - معركة عدوى للأستاذ الفريق طه باشا الهاشمي

رئيس أركان حرب الجيش العراقي

أسباب الحرب

لقد ظهر لنا من الباحث السابقة أن الطليان اعتبروا الحبشة مستعمرة طليانية ، وحلوا الدول الأوربية على الاعتراف بذلك بعد نشرهم للمعاهدة وذيولها ، واستفادوا من حاجة البريطانيين اليهم فتقدموا إلى كاسيلا واستولوا قبل ذلك على عدوى ومع أن منليك كان يتظاهر بصدائهم عند منحه امتياز السكة الحديدية للفرنسيين وإذابته العملة النقدية التي ضربها الطليان في بلادهم لم يتمكن الطليان من التضييق عليه لأنهم كانوا مكلفين بمساعدة البريطانيين في قتالهم المهدي ، ولم يرض البريطانيون بأن يترك الطليان جبهة السودان ويتقدموا بقواتهم على الأحباش

وبرأعته ، وحذقه ومهارته ، وكيف يرفع من يمينه أن يرفعه ويخفض من يمينه أن يرضه ، ومن هنا لا تمد كتب الفتح كتب تراجم بالمعنى المعروف ، وإنما هي بكتب المختارات أشبه . أما ابن بسام صاحب الذخيرة فهو وإن كان أكثر تقييداً وعلماً مفيداً ، وأحياناً في الأخبار ، وأمثالاً - من هذه الناحية - للأشجع والأبصار - كما يقول الحجازي - وإن كان أقل تزويقاً وتهويلاً وإن كان أعف لساناً ، وأزهد لساناً ، إلا أنه هو الآخر يقارب الفتح في اغفاله تاريخ من ترجم له مولداً ووفاء ونسباً وبلداً ومنشأ ، ومثل الاثنين في ذلك مثل الثمالي صاحب بتيمة الدهر ، ومثل الثلاثة المهاد الكاتب صاحب خريدة القصر وجريدة أهل العصر والباخرزي صاحب دمية العصر وعصرة أهل العصر ، كل أولئك يجترئون بيلاعلمهم عن تحقيقاتهم ، فكانت كتبهم لذلك نوعاً غريباً بين أسفار الأدب في لغة العرب ، غلامى بالمختارات المحضة ولا هي بالتراجم الوافية ، ولا هي من قبيل المقد والكامل وما إليهما . ولعل أول من ابتكر هذا النوع هو الثمالي

عبد الرحمن البرقوقي

« لقصة بقية »

والحقيقة أن السياسة البريطانية من حيث أهدافها العامة لم ترغب أبته في توسع نفوذ الطليان في الحبشة وتوطيد كلمتهم فيها لأنها كانت ترى إلى احتلال مصر والسودان والمحافظة عليهما بترك حراسة جبال الحبشة بيد أهلها الأحباش

أما النجاشي منليك فكان يرى إلى توحيد المملكة وتقويتها ثم إعلان استقلالها للعالم . ولا شك في أن رغبة الطليان في توطيد نفوذهم في الحبشة وسعى نجاشي الحبشة لاستقلال البلاد أدباً حتماً إلى الاختلاف بين إيطاليا والحبشة برغم المعاهدة وذيولها وسترى كيف حدث هذا الاختلاف قادي إلى الحرب بينهما . والحقيقة هي أن بريطانيا لم تكذب تقض على حركة المهدي فتبقى إيطاليا حرة في العمل إلا وشرع الطليان بمحشد قواتهم في مستعمرة أريترة للتوغل في بلاد الحبشة

ولما تأكد منليك من قوة جيشه البالغ عدده زهاء ١٤٥٠٠٠ أعلن استقلال الحبشة إلى جميع الدول . ولجماعة إيطاليا طلبت ألمانيا وفرنسا من النجاشي أن يرسل هذا البلاغ بواسطة إيطاليا

فبلغ منليك ملك إيطاليا أن المادة السابعة عشرة من معاهدة أوكرالي لا ترغمه على توسيط إيطاليا في جميع علاقاته بالدول الأوربية ، والنص الحبشي من المعاهدة صريح في هذا الباب ، فهو يحول للنجاشي حق طلب التوسيط إذا أراد ذلك . لذلك رجا من ملك إيطاليا أن يخبر الدول الأوربية بذلك لكي لا يحدث سوء تفاهم في المستقبل

والواقع أن المعاهدة كانت مكتوبة باللغة الأبحرية والسادة السابعة عشرة منها تنص على ما يلي : « جلالة امبراطور الحبشة غنتار في استخدام الوكلاء الطليان » . أما الطليان فلما ترجوا للمعاهدة إلى لفتهم وضمو كلمة « الاجبار » بدلا من « الاختيار » فجاء النص الطلياني كما يلي : « جلالة امبراطور الحبشة مكلف باستخدام الوكلاء الطليان »

فانتبه الساسة الطليان إلى خطتهم ، فلما تيقنوا أن القلم لم يمد نفعا في الحصول على رغباتهم في بلاد الحبشة قرروا استخدام السيف ، مع أن منليك لم يرغب في الحرب في تثبيت علاقاته بإيطاليا . فتظاهر الفرنسيون بالولاء لطيان ، بينما كانوا في الخفاء يؤيدون النجاشي ، لأن توسع نفوذ الطليان في بلاد الحبشة يخالف مرامهم . وكان الحاكم الفرنسي في المستعمرة الصومالية همزة الوصل

المواصلات بينها . وفصلاً عن ذلك فالبقاء فيها شحيحة ومواد الاغذية قليلة ، الأسر الذي يقتضي تجهيز القوات بوسائل النقل الكثيرة والمسير فيها يقتضي بطبيعة الحال اتخاذ تدابير الحماية . لذلك لا يجوز أبداً تطويل الأرتال لأنها تسمى أهدافاً ملائمة للباغته . والخلاصة أنها من أفضل الأراضي الصالحة للحروب المصري بالسكين والباغته فهي من هذه الوجهة تقيد الأحباش الذين يعرفونها حق المعرفة ويعلمون بنجدها وغورها فضلاً عن تمودهم على اقليمها

والطريق التي تربط مستعمرة اريترة بهذه الساحة تبدأ من ساحل البحر وتنتد إلى الجنوب الغربي إلى الجنوب ، منها طريق شمال يبدأ من مصوع ويمر بأسمرة بعد أن يتسلق الجبال ويدخل الهضبة . وارتفاع اسمرة ٢٣٧٢ متراً . وقبل أن يقطع نهر مارب الفاصل للحدود يمر بقرية « غوندت » ثم يصل إلى عدوة وارتفاعها ١٩٦٥ متراً وهي وائمة بالقرب من أكموم وإلى شرقها والطريق الثاني يبدأ من زولا على خليج عديولى . وبعد أن يمر بقرية « حلي » و « كوانيت » يقطع الحدود إلى جنوبي سنافة ويصل إلى قلعة ادمجرات وهي من المراكز الحبيشة الخطيرة ، فيتوجه الطريق بعد ذلك إلى الجنوب ويمر بقلعة « مكا » إلى أن يصل إلى « هرر » ويمر في هذه الساحة ناهياً نهر عطبرة وهما مارب وتكاسه

ومن جملة الأهداف التي كان يتوخاها الطليان في حركاتهم استيلاء الزؤوس إلى جانبهم وإثارة الحروب الداخلية في الحبشة لكي يسهل عليهم التغلب على العدو

فكانوا على اتصال برأس مقاطعة نيجرى ، وبعد هذه المقاطعة تأتي مقاطعة أعمره الداخلية ، وفي جنوبيها مقاطعة شوما المختصة بالنجاشي ، وهي خلف مقاطعة غوجام الداخلية ، وفي جنوبي هذه المقاطعات أرض الذالا في منتهى البلاد الحبشية

فيتضح من ذلك أن الحركة يجب أن تجري بمراحل لاحتلال المقاطعات على التوالي ، وهذه المقاطعات جيداً وعرة منية

قوات الفرقيين — الجيش الحبشي

استخدم الطليان رئيساً لتجسس أحوال الحبشة والنظر إلى المعلومات التي توصل إليها هذا الضابط من أن أنفص مقاطعات تيجرى وأعمره وغوجام زهاء ٢٥٠٠٠٠ نسمة . أما أنفص

بين الحكومة الفرنسية والحكومة الحبشية ، أما الحكومة الروسية فلم تعترف بالمعاهدة وكانت تساعد الحبشة بإرسال الضباط وأصحاب اللهن والرهبان والسلاح اليهم

فرأى رئيس الحكومة الطليانية « كريسبي » لإرسال رجل محنك إلى بلاط النجاشي عسى أن يقنعه ويزيل الخلاف . فأرسل الكونت « انطونلي » إلا أن هذا لم يتمكن (رغم ذلاقة لسانه ووعيد) من اقناع منليك الذي كان جوابه للوزير الطلياني ما يلي :

« ما دام قد حدث غلط في نص المادة السابعة عشرة فالأولى أن نلغيها تماماً ، ولنتفكر من جديد على نص المعاهدة ؛ ثم إن بلادى تحتاج إلى منفذ إلى البحر فلنقرر هذا أيضاً »

ولم يغير منليك رأيه ولم يحدد من فكره . فكان في جميع مذاكراته مع الوزير المفوض يؤيد هذا الطلب منه . وأخيراً بلغ الحكومة أن المادة السابعة عشرة من المعاهدة ملغاة . وفي الوقت عينه أعاد الأربعة ملايين فرنك لها . وكان من نتيجة ذلك أن توترت العلاقات بين إيطاليا والحبشة وانتهت إلى الحرب

ساحة المعركة

تقرب سلسلة الجبال من مصوع وتسيطر على مهلبها الضيق وفي امتدادها إلى الشمال تكون موازية للشاطئ . أما في امتدادها إلى الجنوب فتبعد عنه ، وتتكون منها صحراء الدناكل التي تشح المياه فيها ، وهذه الصحراء وعرة ذات مغازات ووديان ورواب وهذه السلسلة ذاتها تتصل بالسلاسل الأخرى التي تتكون منها معازل الحبشة الداخلية

جرت الحركات على طرفي الحدود في جنوبي « أسمرة » طاصمة أريترة بعد مصوع . والأرض في هذه المنطقة جبلية وهي واقعة على سفوح السلسلة الأولى التي تؤلف الضلع الغربي للثلث ، والارتفاعات فيها تتفاوت بين ١٥٠٠ و ٢٥٠٠ متر . والاتحادات في السفوح الشرقية على ما نعلم مائلة شديدة الوعورة ، وتسلقها صعب ، والأرض متقطعة بوديان وفيها وهاد ومضائق . والروابي يعلو بعضها بعضاً ، والكثير منها مكسو بالغابات والأحراج . أما الطرق فممالك وعرة يصعب على الحيوانات المحملة السير فيها والمنطقة بأجمعها تصلح للقلاع أكثر منها للهجوم . ولا تمكن الحركة فيها بقوات كبيرة ما لم يكن السير فيها بأوتال مختلفة متباعدة تفرقها الودن والمضائق عن بعضها فتصعب

جهزوا التجاشى بأسلحة حديثة فتمحوه ٥٠٠٠٠ بندقية و ٢٠٠٠ ٠٠٠ طلقة في المرة الأولى و ٣٨ ٠٠٠ بندقية و ٢٨ مدفعاً في المرة الثانية . أما البريطانيون فكانوا قد أهدوا إلى رأس تيجرى ٩٠٠ بندقية . وإذا أضفنا إلى ذلك السلاح القوي استطاع أن يشتريه متليك في المرة الأخيرة علمنا أن لدى الأحباش عدداً كبيراً من البنادق الصالحة للاستعمال

ومن عادة النساء الحبشيات أن يرافقن الجيش فيحمن مواد الاغاشة والماء لرجالهن ويهيئن الطعام لهم في المعسكر ويداونن الجرحى ويشجعن الجنود على القتال

أسلوب التعبئة عند الوهابسى

يمتاز الأحباش بالمهجوم السريع وبالشدة . ويحسن المشاة الرمي فلا يطلقون النار إلا من مسافات قريبة حرصاً على ذخيرتهم ، وعندما يقتربون من أعدائهم يحملون عليهم صارخين فيستعملون سيوفهم المريضة في الحيلة وجهاً لوجه ، وبرغم وعورة الأرض يحسن الأحباش الركوب . وإذا ما وقع في أيديهم بطل أو جواد ينقلب المشاة حالاً إلى خيالة ، ويسير المشاة بسرعة . ويستخدم الأحباش على الأغلب الخيالة في المجنبة ، وذلك للائتناف حول العدو وقطع خط الاتصال عليه وإذا ما انتصروا عليه قضوا عليه القضاء البرم بقتل رجاله جميعاً . أما في الدفاع فيحسن الأحباش الاستفادة من الأرض ويمدون إلى الكمون والمباغنة بنجاح

الجيشى الطليانى

يتألف الجيش الطليانى من القوات الطليانية والأهلية المارابطة في مستمرة أريترة والقوات التى يمكن جلبها من إيطاليا واستخدم الطليانى في بادىء الأمر السودانيين والصوماليين وبقايا الجنود المصريين في المستمرة بعد أن جعلوا نواة القوة من الطليان

وكانت القوة بعد الاحتلال بثلاث سنوات مؤلفة من ألفى جندى ، وفي سنة ١٨٩٤ اندى الطليان جيش المستمرات بتأليفه من وحدات طليانية ووحدات أهلية بقيادة الضباط وبعض ضباط الصف الطليان

وكانت القوة الطليانية في بادىء الأمر مؤلفة من فوج مشاة وفصيل مدفعية . أما القوات الأهلية المختلطة فكانت مؤلفة من بطارية وفصيل هندسة ووحدة درك وجنود ثقيلة

له الرأسى

(يتبع)

مقاطعة شوعا وحدها فتبلغ ٢٠٠٠ ٠٠٠ نسمة وهذا مما يجعل لهذه المقاطعة مركزاً خطيراً يتجلى بحكمها على المقاطعات الأخرى ولما لم يكن للحبيشة جيش منظم فمن البديهي أن تقدر القوات بالرجال المسلحين الذين تجهزهم المقاطعات المذكورة وعلى هذا الأساس تبلغ قوة الجيش ما يلى :

رجل	
جيش تيجرى	٢٠,٠٠٠
جيش بحيرة	٣٥,٠٠٠
جيش غوجام	٢٠,٠٠٠
جيش شوعا	٧٥,٠٠٠
المجموع	١٥٥,٠٠٠

وتقصد بالجيش القوة الجاهزة التى يستطيع أن يستخدمها الرأس أو ملك المقاطعة ، متى شاء بمعنى أنها مستعدة للعمل في كل وقت . أما عند الاقتضاء فيمكن لإخراج قوات أخرى بكل سهولة لأن الأحباش جميعاً جنود بالطبع لا فرق بين ضلبيهم وشيخهم .

أضف إلى ذلك مقاطعة الغالا وعاصمتها ميرا التى تبلغ نفوسها زهاء ٣٠٠٠ ٠٠٠ نسمة ومع أنها بعيدة عن ساحة الحركات إلا أنها تستطيع أن تجهز جيش التجاشى بالخيالة .

ولدى الجيش الحبشى أربعةون مدفعا على أنواع مختلفة . والأحباش جنود بالطبع فيحملون السير الطويل دون تعب ، ومعسكرين ويحسون بلاجبة ولاضوضاء ، ويحصلون على معيشتهم بالتكاليف الحربية ولا يستخدمون وسائل ذلك . فالجندى يحمل أرزاقه معه وهى مقدار قليل من القردة . والأرزاق التى تكفى الجندى الأوربي ثلاثة أشهر يعيش بها الحبشى سنة كاملة . فالحبشى من هذه الجهة قانع بما يتيسر له .

والوحدة السوقية في الجيش الحبشى هى الفرقة أو القوة التى يخرجها الرأس أو الملك . وهذه القوة تختلف باختلاف مساحة مقاطعة الرأس أو الملك فيتفاوت مقدارها بين ٥٠٠٠ و ١٠٠٠٠ رجل أو أكثر

والملك أو الرأس يجهز جنوده بالسلاح والحكومة تعدد بالسلاح والمتاد عند الاقتضاء . ومع ذلك ترى أن بعض جنود الأحباش يدبر بنفسه أسلحة وعتاده .

وقد علمنا أن الطليان دون أن يحسبوا حساب المستقبل

المشكلة ... !

للأستاذ كامل محمود حبيب

من أنوثته وجمال ؟ وهو نفسه الذى اختارها لتشاركه حياة الطير ، وزقزاقها وزقزاقته ، وبادلها وبادلته الحب والحنان ؟ أم كان يتقصص من حريته ، ويسلب رأيه لو كان تعلم ... ؟

إن الذى تعلم منا ، قد تعلم لحبك بفتح القيد الذى سُميت به إحدى رجليه إلى الأخرى ، وشُدَّتْ إحدى يديه إلى الثانية ، وماذا يكون وراء العلم إن لم يكن هذا ؟ . وإذا كان الرجل يقول : « هذا أبى ، وتلك أمى ، وهؤلاء أهلى » لينسب إليهم ، أفيخرج عن أهله إن هو قال : « وهذه زوجتى ؟ » وإذا كنت رجلاً تنفذ إليه المرأة بين الشيطان والحيوان منه ، ويصده عنها الرجل الذى فى عقله ، أفكنت غير الرجل الذى يريد أن يتم القصة التى أنعمها الله لآدم بحواء ؟ وهل قال الله لآدم : « هذه متعبة عليك ؟ » أم قال لك الحب : « ضع سحر ك ، وابذر لفرسك ؟ » فهم آدم ليمانق حواء ، وممت هى لثمانقه ، فبدت الطبيعة أجمل ما تكون فى عين رجل وامرأة ، ورأى بعين الحب التى تشع نظراتها من القلب ، وهو كان يرى بين الجسد ما وراء نظره معنى ولا عاطفة . ثم خلق من حبهما شاعراً ، وأديكاً ، وفيلسوفاً ، وعبقرياً و ... وعاشقاً وعاشقة

قلتُ : وى ! كأنك قد طرت من الدنيا فلم تهبط إلا فى الفردوس ؟ كأنك لا ترى أنك فى حجرة إن لم تكن ضيقة فهي ليست بالواسعة !

وأندفع الشاب فى خياله ، وكأنه أراد أن يجمع إلى كتبه التى يظلمها ، ويرى الجمال فى صفحاتها ، صفحة أخرى من جمال الطبيعة ، وثالثة من جمال المرأة ، وظن الجمال فى عقله عند الكتاب ، وفى نظره تحت ظل شجرة وارفة على ضفاف الوادى ، فى قلبه عند امرأة جميلة جميل إليها وبحبها وبراقها إلى حيث يشبه الطائر الذى تحدث عنه ؛ وفى أذنه عند زقزقة المصافير ، وفى حديث هذه الفتاة التى يزعم عندها الجمال والركة والعقل ؛ وفى كيمته عند نسيم الصباح وشذى هذه المحبوبة التى عرفها وهيمها وهيمته ، وخُيِّلَ إلى أن تعاوذا قد فمات فيه ، وأن قارها قد نالت منه ، وأنه قد أسلس لها واقاد ، فقلتُ : أما أنت

دخل الشاب مستأذناً ؛ فخلع طربوشه ، وألقى عصاه ، ثم جلس مبهوراً تتابع أنفاسه ، ويزدحم الكلام على شفتيه ، لا يكاد يبين معنى من معنى ، أو يستقر خاطره على شيء ؛ فما استبنت إلا قوله يختم الحديث فى كلمات متقطعة منهوكة : « نعم ، وقعت المشكلة ، وقعت المشكلة ! فأين أجد الخلاص ؟ » . وكنت قد وقعت عند قول أستاذنا الرافى فى مقاله بجلة « الرسالة الفراء : » « وقعت المشكلة ... » فمررت ما معنى صاحبى ، وهو كان صاحب هذا الحديث ، ومحور رداء ، على أن الرضى لم تطحن إلا قلبه هو ، وكان قد كتب إلى أستاذنا يطلب الخلاص ، فأين رأى الخلاص من نصيح طبيبه . . ما أمر الدواء ليجدى ، وما أقسى الطبيب . . . وقلتُ فى نفسى : « وأسفاه هذا الشاب ! ! أثقل عليه أن صفحة من صفحات قلبه قد نُشرت ، وهو كان يحمل الهم كله فى صدره فما يتقل عليه ؟ ويل للشاب من الشيخ ، فذلك يتكلم بوجدانه وعاطفته وقلبه ، وذلك يتكلم بعقله وتجاربِهِ وفلسفته . فأين يلتقيان ؟

ثم استوى الشاب فى مجلسه وقد اطمأن قليلاً وصرى عنه . بعض ما كان فيه من اضطراب وقلق ، ثم قال : « أترى ما فعل بي أستاذنا ؟ لقد كنتُ - بادية الرأى - فى عينه مهذباً ، متعلماً . ذارأى وبصر ؛ فما هى الآدوية الكلام فاذا أنا ساقط ، مرذول ، ضيف الرأى ! أترى على الشاب من حرج أن يخلق فى سلمه ، يفتش عن قلبه الطائر حتى يرى مآلته . . ؟ والطائر الغريد - يا صديقى - يتقب عن أنثاه التى تساكنه عشته ، وترعى أفراخه . أف يكون لأبيه أن ينتقى له أنثاه من بين عصافير الثنا ، أم تراه هو . . . أو تحسبها هى تمترى إليه إذا لم ترق فى ظل جناحه الرأفة والحنان والحب ! أرايت يا صديقى ؟ أرايت هذا الطير ، يطير عن أنثاه إلى غيرها ، وهو نفسه الذى تماهها ، وقتنه مافها

* جواباً على مقالة الأستاذ الرافى (المشكلة) المنشورة بالعدد ١٢٣

أفليس من ذلك كله أن تمسك عليك زوجك التي اختار أبوك ،
وأن تمنحها من نفسك ما يمنح الزوج ؟

قال : إنك تنحو منحى أستاذك . أقتربت أن تضيف إلى
هموسى هذا آخر ، وأنا جئتك أستعينك على هي ... لقد كان
أستاذك في مقاله كالذى ينزع بكينا هو أغمدهما في صدرى ليداوى
جرحاً هو الذى بلغ به هذا العمق العميق ، حتى إذا ما التأم أو
كاد ، عاد فنكاه ، ثم عاد فآثمة ليداويه ... وصاحبتي التي
استلحمتها عليها لم تكن منى . إلا بمنزلة المتظار من عين الأعشى
ينظر من خلاله إلى هذا العالم فيرى ما يراه ذو العين الصحيحة ؛
ولم تكن من قلبى إلا بمنزلة الاطمئنان من قلب المضطرب ، ولم
تكن من عقلى إلا بمنزلة الطبيعة تفتح فيه طرقاً معبدة ؛ ولم
تكن من حياتى إلا بمنزلة الصديق الوفى . ولعلك تذكر يوم أن
كتبتُ اليك وكنت بعيداً : « لقد أبليت من مرضى ... » .
كان أخى في منأى عنى ، ووقفتُ زوجتى بجوار سربرى ،
لا أعرف كيف تصبُ الدواء في فتجاة ، ولا متى يكون .
وهنتُ نفسى إلى التي أحبها حين خيّل إلى أنى أموت
فكتبتُ إليها وألححتُ ؛ فزارتنى على استحياء ، ثم ألححتُ
فوقفتُ منى موقف الطبيب من مريضه ... ثم كتبتُ إلى أهل
تقول : « إن أبسكم يحتاج إلى من يقوم عليه ... » كتبتُ ذلك
حين رأت أن في زيارتها شيئاً ، ثم ... ثم لم تعد

ولما أبليتُ وخرجتُ لقلتها قالت : لقد كنت قاسياً ،
وما استطعتُ أن أرفض حين رأيتُ الخطر . وما كان أجدرى
وبك ألا تقطع هذه الرحلة . يا شقائى بك ! يا شقاء زوجك
بك ! لقد أسبتُ قلبي بسهم .

وقالت لي وقتُ لها ، ثم افترقتا ، وأردت أن أهرب إلى التي
في دارى بمضى نفسى فأشعرها بأننا أنى ورجل ؛ فارتد قلبي
عنها ، ثم أرغمته فارتد أخرى ، وأظلم منزلى من بهجة المزوبة
ومن جمال الزواج مآ . وأسبحت البار التي جعلتها لسكنائى هي
ججيمى ، فقررتُ إلى الشارع وإلى عملى ؛ وشمرت الأخرى
أنها لا تملك في هذا المنزل ما تملكه الزوجة فقررتُ إلى حجرتها
وإلى خادماتها ، واعتزلتها ، واعتزلتنى ؛ ورجعنا إلى ما كان ، حين
كان بيتنا (الباب الملقب) سنوات تسماً

منها فكالتى نوتم فهو يسير على غير إرادته ، أو سحر فهو
ينظر بتير عينيه ، أو التاث فهو عشى في غير طريقه ؛ وإن كان
أستاذنا قد قال : فما يملك أن يرفع هذا السحر عنك ، ولكن
في كلانه سحرًا من نوع آخر ...

قال : والذى يذهب بعقل أن يقول الناس : إنك مسحور
أوبك لوثة ؛ وقد تملت - نيا تملت في حياتى - أن أفكر
بعقل الفيلسوف ، وأن أطير في سماء الخيال إلى حيث أقع ؛ ولئن
كان الخيال قد أضر بي قليلاً ، إنه لقد شبّ منى بمقدار ما شب
عقل منى ، فكان عقلى وخيالى ، ثم كانت حياتى وكلها دراسة
عميقة فلسفية - فحجب عقلى خيالى حيناً ، ثم عاد خيالى للظهور
مع هذه ، ولكنه لم يحجب عقلى ، وكانت هي عقلاً إلى عقلى ،
وليبست خيالاً إلى خيالى ؛ فكان عقلى أولاً ثم خيالى الصغير ،
وكانت تقول : « أنا لك بمد عمك ومستقبلك ، ولست لك إلا
أن تكون رجلاً فذا » فتدمنى بكلماتها وقلها وعقلها إلى النمل
الأعلى . فيا ضيمة الأمل إن غاب هذا النمل ، ورودتُ إلى
منزلى لأرى فيه مصيبتى ١١ ويا خيبة الرجاء إن صرتُ كذلك
الحداد أو التجار أو الحوذى ، أو ... أو غيرهم ممن لا يرون في
الحياة إلا أنها اللقمة والثوب والمأوى ، ثم ... ثم ذلك الضجيج
البقى الذى يصبح فيه هو وزوجته وعمسى ، والذى يشب عليه
أبناءؤها فيأخذون من سوء الخلق ، وضعة الأخلاق ، وسفالة
الطبع ، والشقاق ، والتناذب ، مما رأوا عليه أبويهم

إن أستاذنا يقول : إنها فتاة الشمر والخيال ، وما هي كذلك ،
وما قابلتها مرة ، أو حاولت ذلك إلا بعد أن أخلع عنى خيالى ،
لأخاطبها بلسان الفيلسوف ، وعقل الحكيم ، وكما أردت أن
أقول لها : « أى فتاتى ... » لأندفع معها في غزل رقيق ،
فكانت تنظر إلى بين تقول منها : « ليست هذه لفتنا ... »
فأردت لأقول : « ولقد قرأت ... » ثم أخلو لنفسي لأشبع
رغبتي في الحديث الآخر ... بيني وبين نفسى ... !

قلت : أفترى أن الفلسفة السالمة تستطيع أن تكون
زوجاً وربة دار ، وأن تكون أمًا ومديرة بيت ؟ وهل تراها
تنشى لك الحياة التي قد رتها في خيالك ؟ إن الحياة - بإصديق -
شيء غير هذا كله ، وإنك لمن بيت ذيه الدين والاحتشام والشهامة ؛

التي يقولون عنها انها جميلة ... ثم أرغموني عليها وأرغمها عليّ
لا أرى في قبحها جلالاً ولا في يؤس الحياة معها فتاً ...

قلت : ولك : لقد اضطرت في نفسك عوامل رانت على
بصرك وتركتك في يبداء من الوم والخيال ، كأنك تريد أن
تخلع ثوبك ؛ وقد يكون في الذي تخلمه جمال !

قال : أما أن أظل شريداً ، فلا . وأما أن أحتمل مع عبئ
عبثاً آخر ، فلا . وأما أنني أهتم بنفسى ، ف نعم . وماذا يضيرني
ويضير هذا العالم بما فيه أهلي وأهلها إذا لبست فوق ثوبي القديم
ثوباً آخر ، فيخنى عن عيني وعين الناس هذا القبيح الذي
كنت ألبس ؟

ثم تركنى ، وأنا أقول : وأسفا لهذا الشاب ! ! أنقل
عليه أن صفحة من صفحات قلبه قد نُشرت وهو كان يحمل
الهم كله في صدره فما يشغل عليه ؟ ويل للشاب من الشيخ فذلك
يتكلم بوجوده وعاطفته وقلبه ، وذلك يتكلم بمقله وبجواره
وفلسفته . فأين يلتقيان !

فلس محمور مهيب

وزارة الأوقاف

وزارة الأوقاف تشهر في الناقصة العامة عملية توريد
الزيت اللازمة لغروها بجهات مختلفة في خلال سنة حسب
الشروط والمواصفات الموجودة بقسم الري والميكانيكا وفي
المأمورية المذكورة وتقبل المطاءات لفناية ظهر يوم
١٠ ديسمبر سنة ١٩٣٥ داخل مظاريق تقدم باسم معالي
الوزير (قسم السكرتارية) ، وكل عطاء لا يكون مصحوباً
بتأمين ٢ في المائة من قيمته لا يلتفت اليه ، والوزارة حرة
في قبول أو رفض أى عطاء بغير بيان الأسباب
ولمقدمى المطاءات الحق في حضور جلسة فتح المظاريف
يوم ١١ ديسمبر سنة ١٩٣٥ الساعة العاشرة صباحاً
بمراى الوزارة

قلت إن أولى الناس بإحسان المحسن ، هو القريب ، فالجار
الجنب ، فالصاحب الجنب ؛ وقد عرفتك محسناً ، وهذه من
ذوى قرابتك ، وأقرب اليك من جارك ؛ أفلا تكون
محسناً معها ؟

قال : لقد كنت أستطيع لو وجدت النور . إنها للظلام
وظلام ، وظلام ... أما الظلام الأول في منزلى ، وأما الظلام
الثانى في قلبي ، وأما الظلام الثالث في عقلى ... !

وسمت وصمت ؛ وكان كأنه يسترجع الذكرى ، ذكرى
ألم خلت ، ذات فيها حلاوة العيش ، وسعادة الرضى ، وكان
حياته بماضيها ومستقبلها قد جمعت في أشهر كانا فيها ...

ثم التفت إلى كالذمور وقال : أما أننى كنت معها غير
الرجل الذى فيه الرجولة فقط ، وأما أنها كانت ملى غير الأننى
التي فيها الأنوثة فقط . فلا . إلا أنها كانت توحى إلى بكلام هو
من لغة السماء ، وتنب في حياة هى حياة أهل الخلد ؛ وكنت
إلى ذلك مطمئناً وقد اطأنت هى أيضاً اليه . وقتنت وقتنت .

والناس يرون في الحب الفاحشة ولا يرون فيه المجد . والذى
يعيش في حياته بلا حب كالشجرة المانس . لبس إلا مى في
الحديقة ، ولا سبيل إلى أن تجمد الشجرة الأخرى . فلا هى بالقابلة
الجافة ، ولا هى بالثمرة ؛ ولكنها يارتفاعها وفقرها تقول : « أنا
... أنا الموجود الذى لا وجود له . » فما أسرع ما تقند اليها
يد لتقتلها ؛ وحين ترى نفسها وقد نالتها فأس الخطاب تقول
« .. أنا .. ويلي ! .. أنا الضائفة » . ان الذى لا يحب الجمال
ولا يلتصق فى امرأة ؛ ثم يفاخر غيره بذلك ، إنه لا يقول للناس
« أنا لا أحب ولا أقدر الحب . » بل يقول « أنا .. ما أنا فى
الأحياء .. أنا .. أنا ميت الأحياء » والضعف الذى يراه فى
الذين عرفوا الحب وآمنوا به ، إنما هو ضعف فى إنسانيته هو
لا فى إنسانيتهم ، والذى لا يدرك الجمال فى المرأة لا يدركه فى
الطبيعة ؛ لأن المرأة هى النظار الكبير الذى ينظر الرجل من
ورائه إلى ما حوله . وإلا فهو لا يرى موضعه من الأحياء . . .
أنا . أنا انسان ولا أستطيع أن أقول إن كل شىء جميل ،
وإن كان فى القبح جمال فقد يكون فى الجمال قبح ؛ ولكن هذه

٤ - عمرو بن العاص

بقلم حسين مؤنس

تممة

وانتظمت جيوش معاوية وأخذت سبلها الى الشام لتأمر
لعمركم الشهيد ... ولم يمد في نفس أحد منهم شك في أن عليا
هو قاتل عثمان ... وأن حربه والانتقام منه فرض واجب على
المسلم الصادق الأمين ، ومضى معاوية وعمرو على حصانيهما يتحدثان
في الطريق وإن معاوية ليحس خطر هذا الرجل الصامت الى
جانبه ... إنه ليعجب من هذا العقل الكبير الذي لا يقصر عن
ثأية ولا يسجز عن أمر ... وإنه ليخشاه ويرى سلطانه مهيدا
بوجوده ... ولكنه يحتاج اليه ولا يكاد يستغنى عنه في هذه
الملحمة المقبلة ... ولم يكن عمرو ليفكر في غير ذلك ! ولكنه لم
يكن متصرفا اليه هذا الانصراف كله ... فهو يعرف حاجة معاوية
اليه ولا يخشى منه أمرا ... بل هو يفكر في أمر آخر ، إنه
ليفكر في علي وقوته ... وبحسب حسابها ويسأل نفسه ، ترى
ما ذا أقدر لو انتصر علي على وهو أمر مقول جدا ... وإن عليا
لفارس العرب وسيف الله البتار ، وإنه لصاحب الأيام البيض
الخوالد والفزوات الزهر الباقيات ، وإن معه لتفرا من الفرسان
الصناديد الذين يخشى منهم أي خشية .. فيهم الأشتر النخعي وفيهم
من أصحاب الرأي ابن عباس ، وإن في هؤلاء لثناء ومنعة من
القتل ... فما ترى ابن العاص فاعلا والأمر خطر والبلاء شديد ؟

وانتهت الجيوش الى شتات الفرات ، واقتربت من طلائع
على وعسكرت في موضع مهمل ومنعت الماء عن علي ... ويات
قوات على عطشى حتى عيل صبرها غفلت على الشاميين فأجلتهم
عن موضع الماء ... ويات الشاميون عطشى فتدبروا من يسأل
عليا الماء فأجاب ... وتلك كانت علة الرجل التي انتهت به
الى الهزيمة في ذلك الميدان ، فكيف يثبت الطيب الخبيث ،
والريق القاسي ، والایمان الحيلة والهاء ^(١) وزاد الأمر بلاء
أن عمرا أدرك موضع الضعف من علي ، وسراه سباقا الى الاستفادة

من إيعان علي وشهامته ... انظر اليه قبيل سفن ... إنه يدور
بميينه في معسكر على ليختار الدهاء والطباء ويتصل بهم
ويشككهم في أمرهم ... هذا الأشعث بن قيس يتفام مع عمرو ،
وهذا أبو موسى يبدأ يشك في حق علي ... ثم تبدأ الفتاة
القوية في جيش علي نفسه فتقعد هم الناس وتقرر عزيماتهم ...
ويرون قتال أعداء علي تبعا لا طائل وراءه ، وإن عليا ليلزم
جنوده شدة لا يطيقونها ، وإنه لينيهم بالجعة دوت الفئام
والأسلاب ، وهؤلاء جنود الشام عليهم النعمة ظاهرة والخير
وافر : وذلك عدل من معاوية ، وكياسة من عمرو ! ثم انظر
الى ميدان سفن : كيف تهم طائفة من أصحاب علي فتكتسح
المدوا أكساحا وتكاد تأني على معاوية ، وكيف تتقاعص طائفة
أخرى حتى تكاد تفر من الميدان ، وكيف يلقي على مقاومة من
أنصاره ومعارضة من قواده . لقد تغيروا . لقد داخل قوسهم
الشك في عدالة قضيتهم ؛ وإنهم ليرون ظل عثمان ماق على خلافة
على ثقيلأ رهيبا . بل وهذا الأشعث يقعد عن المعنى ، وهذا الأشتر
يعصى ، حتى تكاد الهزيمة تصيح بمعاوية . ويشدد الأمر يجند الشام
وينظر عمرو حواليه ، فاذا الأمر مقضى ، وإذا الهزيمة قاضية ،
فينحى على معاوية ويلومه لوما شديدا . لقد بدا له أنه « خسر
الصفقة » وأن السوق قد أتت بشئ ما كالت . إنه لتأثر
مغضب يلوم معاوية ، فيشتد في لومه ، وإنه ليعتبره مسئولا عن
الخسارة التي حاقت به ، وإنه ليصارحه برأيه ويعكثون سره
ويقول له : « يا معاوية : أحرقت قلبي بغصصك ! ما أرى أننا
خالقنا عليا لنفضل منا عليه لا والله ، إن هي إلا الدنيا تتكالب
عليها ، وإيم الله لتقطعن لي قطعة من دنياك أو لأنا بذنك . » ^(١)
وإنه ليندم على ما أتى من انفضله ، وقد نسي قدر علي وقوة
جنوده ؛ والآن اتضح له الحق فهو يلوم ويندم ، ولكن ماذا
يجدى ، وإن الخطر ليقرب ، وإن جنود علي لتكاد تمس جفاه
معاوية ؛ وإنه ليركب حصانه ، ويهيب بعمرو : « الله ... الله ...
في الحرمات والنساء والبنت : هلم نجأتك يا ابن العاص فقد
هلكنا » ، ولكن كيف يسرع ابن العاص إلى نجائه ، ويطوى

(١) رواء الذهبي ، وأنا أهلك في صدق الجزء الأخير من « إيم ... »
لأنه كان قد سبق للابن الاخاق قبل الفروع في السبل

(١) ابن تيمية « الأمانة والبيعة » ج ١ ص ١٧٢

خيامه ويلوى هارباً ، وما بعد ؟ ... إنه لينظر بعيداً ، وإنه ليرى
عليه متعباً إيام حتى يقبض عليهم في عفر دارهم ... كان هذا
أمراً يخيف ابن العاص ... فانظر كيف يستثيث وكيف يحتسب
بكتاب الله ... لقد عرف أن في بعض رجال علي ميلاً إلى
المهادنة وترك القتال . فرأى الاستفادة منهم ... ثم أخذ يسأل
نفسه قائلاً : ترى أى شيء يجلب هؤلاء القوم في هذه اللحظة
التي تنكروا فيها لكل شيء ؟ فتجيبه نفسه : كتاب الله ...
فيجيبها : فلننضم منهم بكتاب الله ، ولنرفع المصاحف على
الرماح ؛ فيجيب نفسه ... بلى ... هو الرأي الصواب . فرفع
المصاحف على الأسنة وراها أصحاب علي ، وكانوا يتربصون
فرصة يكفون فيها عن القتال فيرون في هذا حجة كافية ، ويكفون
ويحتجون بكتاب الله ، ويدور على بعينه في معسكر عدوه ليرى
مطلع هذه البدعة فيجد أنه عمرو . وهنا ينكشف لمينه سرها ..
إنها خدعة . . إنها حيلة ، ولكن قومه لا يسمعون . وهما هي
صفين تنفض ، والأشتر يؤمر بالجرع ، وينجو معاوية ، وبحول
ابن العاص المركة من حرب السيوف لحرب الفكر واللسان لكي
يشل قوة علي ، ولكي يكون هو في ميدانه الصالح له . ثم انظر
اليه يتدخل حتى في اختيار علي لمدوبه ... إنه ليتصل بالخطوة من
أنصار علي ويوعز اليهم فيرفضون عبد الله بن عباس لأنه قتي ذكي
مخلص لقضية علي . ثم يرفضون الأشتر لأنه متفان في خدمة ابن
أبي طالب ، ولكنهم يؤيدون الأشعرى لأن عمرا يعرف أن بينه
وبين علي شيئا ، وأن التفام قد يجدي معه كثيراً ، وينفض الجمع
ليلتقي في دومة الجندل

ترى قيم بفكر ابن العاص في هذه الفترة ... في مصر
وأموها ... لأنها ستعود اليه بعد قليل ... إنه يكيد لوالها
الجديد قيس بن سعد بن عبادة الانصارى فيشيع في حزب علي
أن قيساً قد انضم لحزب معاوية ، فيعزله على ويضع مكانه الأشتر
النخعي فيموت الأشتر مسموماً عند « مسروره » بالقلم في ٥
رجب ٣٧ ... أترى لعمرو يدأ في ذلك ؟

ثم يكون التحكيم الذي لم يرو التاريخ مثله أبداً ، والذي لم
يرفق مؤرخ في روايته على أصله أبداً ، والذي يرفض العقل أن
يقبله في سروره التي وصلت اليها ... ولكننا نستطيع أن نفهم
منه كيف كان الناس ينظرون إلى عمرو وكيف اعتبرته الأجيال

أشد الناس لؤماً وأكثرهم خيئاً ... لقد وفق عمرو توفيقاً
عظيماً ... ولم يكن توفيقه راجعاً إلى مهارته في الكيد وحدها ،
بل إلى وجود الضعاف والخلوة في صفوف خصمه وحسن
استفادته من هؤلاء ... هذا هو يتدخل في انتخاب مندوب علي
ويرضى أخيراً عن أبي موسى الأشعرى لأنه أبه أو شيخ كما
يزعم الرواة ، بل لأنه غير راض الرضى كله عن علي ... ولأنه
قابل للمنة مستعد للمساومة ؛ وهذا عمرو يخلو به ساعات طويلاً
يتحدث اليه في الأمر : ويتفنن في إقناعه ... وينفذ اليه من
شقي السبل حتى يوفق إلى تشكيك الرجل في عدالة قضية علي ،
بل إلى اتهامه بقتل عثمان ... فإذا خلس من هذا فقد أفضمه أن
لعمان أولياء يطالبون ثأره من القاتلين ... وأن الأولياء هم معاوية
وعامة آل أمية ... فإذا خلس إلى هذا فقد أقتنع خصمه بمدالة
ثورة معاوية ... ثم يسأله : فإذا ترى ؟ فيصمت الشيخ فيقول
عمرو : إننا نرضى بتنازل علي لثمان لم عثمان ؟ فلا يرى أبو موسى
حرجاً في ذلك ... ويضطرب لذلك عمرو ، فقد خسر منافسه الخلافة
ولم يخسر هو شيئاً ... وهو إنما يرجو أن يخلع الخلافة عن علي
ليصير هو ومعاوية سنوين ... ثم إنه يعرف أن أنصار علي ملتفون
حولته لأنه خليفة ، فإذا زالت عنه الخلافة تفرقوا ... وقد أفصح ...
بل إن أنصار علي ليتفرقون قبل خلعهم في التحكيم ... ويصبح
مسكره فوضى ... وينفض الخوارج ويتفرقون ويحاربهم في
النهر وان ... كل هذا يرضى عمرا لأن فيه إضعافاً للخصم ، فإذا
تم الأمر وزعت الخلافة لم يصبح لعل بعد ذلك شيء وينهب
أمره هباء

ثم يملن الحكان ما وصلا اليه : لقد رأينا خلع علي (١) ...
لقد ثارت الفتنة واضطرب الأمر وأسقط في يد علي وأنصاره ...
وقد كسب عمرو كل شيء وأصبح على طاجراً عن استنهاض هم
جنوده لحرب معاوية ... وقد قوى أنصار هذا الأخير تخافهم
الناس وأحمد جند معاوية وقوى أمرهم واشتد ساعده بهم ،
واستطاع أن يفصل عن علي بلاده جزءاً جزءاً حتى إذا قتل
سنة ٤٠ هـ لم يكن قد بقى في يده من الأمر شيء

هكذا فعل عمرو : فرق الصفوف وأشاع الفتنة وأقام
هذه القوضى التي لم يخلص الاسلام منها إلى أواخر أيامه ...

(١) هذا ما رواه ولا يتل أن يكونا أعلن خلع علي ومعاوية لأن معاوية
لم يكن خليفة فيخلع

أجل لازال في سن السبعين يفكر في غرس المال والاصابة
من ثمرته وغلته ؟ وهكذا يتبين أن يفهمه الناس ، فإن اجتهدوا في
السياسة ونبوغته في الحرب كان مصدرهما شيئاً واحداً : الرغبة في
الكسب والربح .. وقد انتهت جهوده الى شيء واحد ، لا هو
الملك ولا هو الثواب .. بل ليست هي الآخرة نفسها وإنما هي مصر ..
أغنى ولايات الدولة وأوفرها مالا . وقد مات وخلف ألف ألف
درهم كما يقول السمودي ودورا عديدة كانت يمتلكها في
مصر والشام
(تم البحث)
عبد مونس

وزارة المعارف العمومية

ادارة الجلات والامتعات

اعلان

عن بعض مقررات امتحان شهادة الدراسة الثانوية

قسم ثان سنة ١٩٣٦

- ١ - كشف بيان ما قررت الوزارة مطالعته ودراسته
من كتاب : A Further Approach to Shakespeare
على طلبة امتحان الشهادة الثانوية قسم ثان أدبي
سنة ١٩٣٦
 - ٢ - كشفان بيان قطع المطالعة المقررة على طلبة
الصفين الرابعة والخامسة وقطع المحفوظات الفرنسية المقررة
على الطلبة في جميع السنوات الدراسية سنة ١٩٣٦
 - ٣ - كشف بيان قطع المحفوظات الانجليزية المقررة
على طلبة امتحان شهادة الدراسة الثانوية قسم ثان سنة ١٩٣٦
- الكشوف للوضحة بماليه أرسلت الى المدارس الثانوية
الأميرية والحرة لاتباع ما جاء بها خاصاً بامتحان شهادة
الدراسة الثانوية قسم ثان سنة ١٩٣٦
ويمكن للطلبة المتقدمين للامتحان المذكور من
الخارج هذا العام الاطلاع على هذه الكشوف باحدى
المدارس المذكورة

لكي يصل الى شيء واحد .. مصر .. لقد باع الحق وادتهن
الفضيلة ، وسامو على طائفة الدولة الاسلامية ليكسب شيئاً
واحداً ، هو مصر بخيرها وبركاتها

وانظر اليه لقد أسرع الى مصر في ستة آلاف مقاتل ، يقطع
بهم سيناء على عجل سنة ٦٣٨ هـ ، فإذا أشرف عليها فقد أرسل
يهدد محمد بن أبي بكر الصديق ليخلى بينه وبين ما يريد . ولكن
محمداً رفض ، ولم يدرك أن غريمه قد باع الدنيا والآخرة بهذا الذي
يمارسه فيه ؛ والنقي الجمان ، وفر محمد وتيمه معاوية بن حديج
وقته في المنشاء

ثم انظر صراعه مع معاوية على مصر . إن الأول ليستكثر
عليه هذا البلد الغني الطيب ، وإنه ليراه غير أهل لتلك النعمة
الوارفة . فانه لجالس ذات يوم في نفر من صحبه وفيهم عمرو فيقول :
- ما أعجب الأشياء ؟ فيجيب يزيد ابنته :
- أعجب الأشياء هذا السحاب الرائد بين السماء
والأرض ... وقال آخر :

- حظ يناله جاهل ، وحرمان يناله قاتل . وقال عمرو :
أعجب الأشياء أن المبطل يقلب الحق . فيسرع معاوية ويقول :
- بل أعجب الأشياء أن يعطى الانسان ما لا يستحق إذا
كان لا يخاف
بل فهو أعجب الأشياء ... وهل يستحق عمرو مصر وهو
لا يخاف (الله)

ذلك رأى معاوية في عمرو ... ثم انظر الى معاوية يحترس
من عمرو في كتاب توليته فيكتب : « على ألا تنقض شرطاً »
طاعة ... فيمساك عمرو بالقلم ويسد لها : « على ألا تنقض طاعة »
شرطاً

وعاش عمرو بعد ذلك ما شاء الله له أن يعيش ، وأنجاه الله
من يد قاتله لكي ينعم قليلاً بالشجرة الخضراء التي خسر في
سبيلها كل شيء . وتردد بين مصر والشام كثيراً ، ليجلس الى
معاوية .. ثم ليخلو الى أولاده ، وكانت مصر قد صارت له
طعمة ، قاطناً ياله وترك الكفاح والجلاد ، ولكنه لم ينس
الكسب والحسرة الى آخر أيامه ؛ فانه لجالس مع معاوية يوماً إذ
سأله هذا ما بقي منك يا عمرو ؟ فيجيب : « مال أغرسه فأصيب
من ثمرته وغلته ... »

الصحراء للأستاذ عبد الرحمن شكرى

أَرْحُبُكَ أُمِّ صَمْتٍ عَلَى الْأَرْضِ غَالِبِ

غدا مُضْجِرٌ مِنْ رَوْعِهِ وَهُوَ هَائِبِ
كَصَمْتِ الْخُشُوعِ الْمَطْرِقِينَ تَرْوَعُهُمْ

مِقَابِرُ صَرْعَى لِرْدَى وَخَرَابِ
وَصَمْتٍ لِيَذَى الْحَرَابِ فِي بَيْتِهِ
تَوَقَّعَ مَنْ قَدْ غَالَهُ الصَّمْتُ هَاتِفًا
يَكَلِمُهُ مَنْ فَرَطَ مَا لَصَقَتْ رَاغِبِ
كَمُخْتَرِقِ الظَّلْمَاءِ لَاحَ لَمِينِهِ
إِذَا جَالَ نَبْهَا الْحِظُّ مَا هُوَ غَائِبِ

حَرَى أَنْ يَتَأَجَّى النَّفْسُ فَيْكَ أَخُو الْحُجَا

وَيَخْشَعُ صَمْتًا رَاكِبَ فَيْكَ ذَاهِبِ
وَيَخْشَعُ مِنْ رُحْبٍ كَأَنَّ لَامِدَى لَهُ
فَلَمْ يُلَفَّ إِلَّا مُشْبِهٌ أَوْ مُنَاسِبِ
سَوَى الشَّبْرِ يَتْلُوهُ الشَّبِيهِ الْمَصَاقِبِ
عَلَى الْأَفْقِ بُشْرَى كَذَّبَتْهَا الْعَوَاقِبِ
وَقَدْ تَهْلِكُ لِلرَّءِ الْمُنَى وَالزَّغَائِبِ
كَنْ خَذَلْتَهُ فِي الْفِيَاثِ الْمَذَاهِبِ
كَأَنَّ شَوَاطِئَ الْقَيْظِ يَسْفِيهِ دَائِبِ
حَرَائِقُ يَصْلَاهُ الْحَصَا وَالتَّجَائِبِ
عَنْ النَّارِ لَوْ يَسْمَى جَحِيمٌ مِقَارِبِ
وَيَسْوَدُّ وَجْهَ الْأَفْقِ حَتَّى كَانَمَا

ذُكَاكِدَجَتْ أَوْ يَكْسِفُ الشَّمْسُ حَاجِبِ
وَكَمْ حَارَ رَكْبٌ مِنْ بَجَاءَةِ صَحْوَةِ

كَمَا رَاعَ مَرَأَى الْحَسَنَ وَالْقُرَى سَالِبِ
إِذَا الْجَوُّ كَالْبَلْبُورِ أَخْلَصَ لَوْنِهِ

وَصَبَّ عَلَيْهِ مِنْ سَنَا الشَّمْسِ مَا كَبِ
كَذَلِكَ غَبَ الْغَيْثُ رِيْمَانِ بَهْجَةٍ
كَأَنَّ ضِيَاءَ فِي سَوَادٍ مَسْحَابَةٍ
نَكَارَ حَتَّى تَقَبَّ الدَّجَنُ نَاقِبِ

تَفَجَّرَ يَنْبُوعٌ مِنَ النُّورِ غَامِرِ
ضِيَاءُهُ تَرَى الْمَأْلُوفَ مِنْ كُلِّ مَنْظَرِ
وَمَا فَرَحَةُ الْوَلَهَاتِ عَادَ حَبِيبِهِ
نَهَارَكَ أَمْ لَيْلِ الدَّرَارَى نَائِلِ
أَدِيمَ سَاءَ يُبْرِزُ الشَّهْبَ صَفْوُهُ
أَمَا يَخْشَعُ السَّامِرُ مِنْ كَثْرَةِ الدَّنِيِّ
بَيْتٌ يَتَأَجَّى النُّجُومَ وَالنَّجْمَ سَامِرِ
كَأَنَّ لِحَاطِظِ النُّجُومِ مِنْ لِحَظِ عَاقِلِ
يَسْأَلُهُ عَنْ عَيْشَةٍ أَيْنَ سَرِهِ
إِذَا خَطَّ فَيْكَ الدَّهْرُ سَطْرًا مَحُونِهِ
وَتُرْقَلُ فَيْكَ الْبِعْمَلَاتُ وَإِنَّمَا
وَالْبَحْرُ أُمُوجٌ وَلِلْيَدِ عَثَلُهَا
فَيَفْرُقُ فِي لَحْرِ مِنَ الْقَرَبِ حَائِنِ

كَمَا احْتَشَدَتْ فَوْقَ السَّفِينِ السَّوَارِبِ
وَرَحْبُكَ رُحْبُ الْبَحْرِ يَطْوِيكَ هَائِبِ

وَيَرْكَبُهُ ذُو مَطْلَبٍ رَهُوَ هَائِبِ
بِاقْفِكَ لِلشَّهْبِ رَهْبٍ وَرَوْعَةٍ
وَذَى دَوْلَةٍ فِي الْيَمِّ قَدْ دَالُ أَمْرِهِ
وَيَصْفُرُ عَيْشُ الْمَرْءِ فِي الْيَمِّ مَثَلُهُ
لِيَحْكِكَ يَلْتَمِ مَكْرَمُ الضَّيْفِ ضَيْفُهُ
وَتَسْجُدُ الْأَخْطَارُ حَتَّى كَانَمَا
لَقَدْ صَقَلَتْهَا نَارُ قَبْرِ وَصَبْلِ
تَنَكَّرَتْ فِي بُرْدِ التَّقَشُّفِ لَمْ يَلْنِ

مَعَاشٍ وَلَا تَرْجَى لَدَيْكَ الْأَطَائِبِ
عَبْدُ الرَّحْمَةِ شُكْرِي

مجموعات الرسالة

ثمن مجموعة السنة الأولى مجلدة ٥٠ قرشاً عدا أجرة البريد
ثمن مجموعة السنة الثانية (في مجلدين) ٧٠ قرشاً عدا أجرة البريد
وأجرة البريد عن كل مجلد للخارج ١٥ قرشاً

وَتَرَامِي الصَّنَافُ فِي مَائِهِ الرِّقَّةُ رَاقٍ يَسْجُو عَلَى الصَّنَافِ وَيَتَرَقَّى
وَعَلَى السَّخَرِ تَسْتَرِيحُ الدَّوَالِي فِي نِظَامٍ خُلِبَ وَتَهَجَّ مُنْتَقَى



(وادي زحلة)

وَالصَّنَافُ بَيْنَهُنَّ نَشَاوَى ثِيَلَاتٌ مِنَ الرِّيحِ الْمُنْتَقَى
رَمَتْ الْعَمْرُ فِي ظُرُوفٍ مِنَ النُّوْ رِوَاكَ الشَّدَا يُشْمُ وَيُنْشَقُّ
ذَلِكَ « صَنِينٌ » فَيَلْقَى فِي السَّمَا تِ وَفِي الْأَرْضِ جَائِمٌ مِنْهُ قَيْلَقُ
هُوَ جَارُ النُّسُورِ حَطَّ عَلَى الْقَعِ مَ وَأَسْرَى إِلَى التَّلَاةِ وَخَلَقَ
وَالشُّهُولُ الْفِصَاحُ دُنْيَا مِنَ الْإِذِ عَامٌ تَنْدِي مِنَ الطُّيُوبِ وَتَنْبِقُ
وَالسَّاهِ السَّاجِي الْبَهِيُّ رُسُومٌ وَرُؤْيَى كُلُّهَا مَحَبٌّ وَتُمْشَقُ
وَالْقَطِيعُ لِلشَّرَاحِ غَنَاءُ رَاعِي هِ فَأَضْعَى مُسْتَهْيَلًا وَتَشَوَّقُ
هَذِهِ تَهْ الرِّبَابُ فَأَنْسَابُ كَالنَّهْ رِ وَأَهْوَى مِنَ الرُّبَى يَتَدَقَّقُ
مَلَأَ الْكَوْنُ بِالشَّفَاءِ فَمَا تَدَ مَعَ الْأَصْدَى يَطِينُ وَيَزْعَقُ
عَادَ وَاللَّيْلُ مُتَمَبِّ هَبَطَ الْأَزْ ضَ وَأَغْيَا عَلَى الْجِبَالِ وَأَطْبَقُ



(الأرز)

إِنَّهُ لِبَنَانُ يَنْشِيدُ الْأَنَاءِ دِ وَيَأْصُورُهُ النِّعَمِ الْمُحَقَّقِ
(البقية في ذيل الصفحة التالية)

لَبْنَان

[تمضى إلى أنى الأستاذ على الطنطاوى]

لشاعر الشباب السوري أنور العطار

غَابَ لَبْنَانُ فِي رَقِيقٍ مِنَ الْقَدِ مَرَّكَ غَابَ فِي مَدَى السَّحَابِ رُؤُوقُ
صَفَرَ الثَّلَجَ وَالسَّحَابَ تَاجًا وَاخْتَلَى فِي الصَّبَابِ ثُمَّ تَمَلَّقُ
الْهَضَبُ الشَّمُّ اكْتَسَتْ وَرَقَ الظُّ

دِ وَطَافَ الرِّيحُ فِيهَا وَأُخْدَقَ وَالرَّوَابِي تَوَسَّدَتْ رَاحَةَ السَّحَابِ
وَالذَّرَى الْبَيْضُ فِي الْعَلَاءِ نُورُ حَوَمَتْ تَكْشِفُ الْخَفَى الْمُتَلَقَّ
نَشَرَتْ فِي الْغَضَاءِ أَجْنَحَهَا الرِّقَّةُ رَفَأَتْ بِهَا الْوُجُودَ وَأَشْرَقَ



(من قرى لبنان)

وَالْقُرَى ظَلَمَتْ بِأَخِيَّةِ الْقَدِ مِ وَضَاعَتْ بَيْنَ الْغَامِ الْمُنْتَقَى
غَرَسَ مِلْهُهُ فُتُونٌ وَسِحْرُ وَنَسِمٌ صَافٍ وَحُلْمٌ مُزَوَّقُ
وَالْيَنَابِيعُ ضَاحِكَاتٌ مِنَ الرِّقَّةِ وَتَرَامِي فِيهَا السَّنَا وَتَالِقُ
مَرَدَتْ قِصَّةٌ مِنَ النِّعَمِ الْعَا وَوَمِنْ سَجَّةِ الْحَلَامِ الْمُطَوَّقِ
ضَجَّتِ الرِّبْوَةُ الْأَنْبِيَةَ بِالشَّدَا وَوَعْنَى السَّخَرِ الْحَبِيبُ وَزَفَزَقُ
وَتَشَبَّتْ بِالْغَابِ مَوْجَةٌ أَنْسَى فَشَدَا الْأَزْزُ وَالصَّنُوبُورُ صَفَقُ
وَتَرَامَى الْبَحْرُ الْبَيْدُ كَعَلَمِ مِنْهُمْ رَاجِفِ الْخِيَالِ مُلَقَّقُ
سَرَقَتْهُ السَّمَاءُ فِي الْأَقْيِ النَّا فِي فَمَنْ أَبْصَرَ الْخَفِيَّاتِ تُسْرِقُ
حَبَدًا فِي رِيَاغِ « زَحَلَّة » وَادِ بَرَعَمَ الْعُبَّ فِي رِمَاهُ وَأُورَقُ
وَبِأَفْيَانِهِ الْعَلَفِ الْعَوَانِ سَرَبَ النَّهْرُ كَالْجَيْتَنِ الْمَطْرَقُ

جنازة السلام

بمناسبة الحرب بين إيطاليا والحبشة

للأستاذ محمود غنيم

أبصن زيتون نجيا زى أم بصارم الانتقام^(١)
 قالوا السلام قتلتم كم
 لا «الفانيكان» من الحرو
 قد كانت الخلفاء تد
 كل يشير إلى السلا
 وأمامه أسطوله
 قعد المهتد عرشه
 نازر وغاز فاتك
 شبح المنيّة جاثم
 أرو في القضاء مرفرف
 بجناحه مثل الحمام

جبار روماً سوف تآ
 أريد ويحك أن تؤ
 وفي زمان القيصر
 أو ما رأيت الحكم با
 ولقد نشيت القهقري
 إذا صفا جو السلا
 رحك هل تشكو إلى
 لم تحب نار الفتنة ال
 ولقد تحدثت أنا
 أسرفت ويحك فأتند
 لا تحسبن مرايض ال
 هذى معاقلم فمن
 هام خصومك حول
 القابضون على جنه
 قالوا الحصار فأذعنت
 أخذوا على روما السا
 بس تاج قيصر في المنام
 خراهل جيلك ألف عام
 تية والقيصرة العظام
 ت الآن في أيدي العظام
 ومشي الزمان إلى الأمام
 م زفرت فافشر الغمام
 لك الأرض من هول الزحام
 كبرى وجرح الكون دام^(٢)
 م فكننت سخرية الأنام
 ماذا جنى أبناء حام^(٣)
 آساد سهلة الاقتحام
 لك بالبواذخ من شام
 طالتش إن شئت الحصار
 ف ورعطها مثل السوام
 «واقول ماقلت حزام»
 لك ففى في ضيق المسام

أرأيت إذ ولد السلام
 وضعته «أورياً» لنا
 طفل برى ذاق من
 نحرنا السلام ضحية
 لحنى عليه ممزق ال
 عصفت به ريج الوغى
 ففى شهيداً ماله
 ليس السلام بسائد
 ما الناس إلا الناس في
 سيان من سكن القصور
 يسوى الدم المسفوح لا
 وأحب ما وقعت عليه
 وهو ابن آدم ينتشى
 الذنب كالانسان لو
 فكلها وحش حد
 ميان عند الفتك نا
 قالوا السلام قتلتم ما
 وتعاهدوا فسألتهم

عالم أنت للهوى والأمان
 درج الحب في تراك قبياً
 وبأعطائك الرقاق العواشي
 يستهى السحر في حياك نيتق
 وله فتنة ترؤغ ورتق
 وقف العن خاشعاً ثم أطرق

... وتطلعت من مشارف لنا
 تلك مأوى رغادي وغبالي
 ن أناجي من صفحة العيب جلق
 وبها تلي الهيف معلق
 أنور العطار

(١) يشير بذلك إلى أن فكرة السلام لا يمكن توطينها بدون الحرب

(٢) يشير إلى حادثة قتل ابن الزبير وصلبه بسد لإطلاق التنبؤ على

الكتابة التي اعتم بها

(٣) يشير إلى الحرب العظمى

(٤) يشير إلى ما تعتبر إليه الخرافة من أن الاحباش وغنيم من البنود

من نسل حام بن نوح

القصص

أقصصة عراقية:

أبو جاسم

للاستاذ محمود . أ . السيد

- ١ -

حدثني صديق إبراهيم والد كرى توله ، قال :

« كنت في المدرسة الثانوية — السلطانية المانية — قبل احتلال الجيش البريطاني بغداد سنة أو أقل ، أصاحب طالباً من ذوي الذكاء الواعد والخلق الجليل . كنت في السادسة عشرة من العمر . وكان هذا الصديق — واسمه علي بن حسن — خبيراً عوناً لي في المدرسة . وكنت أعجب بذكائه .. وكان طليقاً جريئاً يسمو على أقرانه بكثير من المزاي والصفات . وكان لي جانيباً طالب آخر يكمل لنا « الثلوثا » مقدساً بالأخاء والوداسمه عبدالمزير . وهو من أبناء الطبقة العاملة . كان

« مذاق نطاق هذا العدد من الصور الرائعة التي يجولها الأستاذ ديري خشة من (صور موبدوس) لمنهورة إلى قرأتها المبهجة بها . وسؤال لمرها من العدد القادم

عَبَّجِي عَلَى بَاغٍ يَقْرُ
اسْتَعْمَرُوا فَتَلَّشُوا
رَمَتْ التَّنْزَرُ مَنَاهِمُ
شَرُّ بِرُومَا طَارِ يَرْ
الشَّعْبُ هُدَّدَ بِالطَّوِي
يَتَسَاءَلُ الْأَكْوَامُ هَلْ
زَعَزَعَتْ أَرْكَانَ السَّلا
كُومُ حَمَادِ

لِلمن بني : هذا حرام
وخرجت مكشوف التام
فظهرت في ريش النعام
شك أن يكون له ضرام
والجيش بالموت الزوام
« نيعون » بعد الموت قام
م قدق مرارة الانهزام
محمود غنيم

أكبرنا سناً ، وأقلنا تهذيباً ، وأجرأنا قلباً ، يقدمني وعلياً في الاعتزاز والتفاخر برجال التاريخ الاسلامي العربي : أجدادنا الأولين . وذلكم كان ديدننا في ذلك العهد : فجر الحرب العالمية الاستعمارية الكبرى وضحاها

وكان أكثرنا حباً لبغدادنا وإبنائنا فيها . . . يماثر خارج المدرسة فتية من أبناء طبقته المكدودة فيشاروهم فيها بمنفدون من باطل العقائد والمخافات . وكان يرى — فيما يرى من غريب الآراء — أن القبة العسكرية « الأنورية » التي ابتدعتها الحكومة — الانحدادية إبان الحرب لرجالها ولطلبة المدارس ، قبة أفرنجية ، حرام على المسلمين لبسها ، وأن رباط العنق وحمل الصليب . ولم يلبس القبة حتى آخر يوم من أيامه في المدرسة ، فكان الطالب الوحيد البارز من بين الطلبة بطربوشه الأحمر القديم . أما أنا وعلى قد لبسنا القبة تلك لأننا لم نستطع أن نشذ عن الجماعة شذوذه . وكان هذا الصديق الجريء يقضي أغلب أوقاته في منازعة الطلبة وتحسيسهم ، فكنت أنصحهم راجياً منه أن ينصرف عنهم وعن منازعتهم إلى التوفر على دروسه فما كان النصح يجدي وكان يؤسفني أنه عُمر آخر الأمر بأنه شكس سي يطلق ، وإن كان في الحقيقة طيب السريرة خيراً . ولعلمهم كانوا يسيرون عليه كرهه للباس القبة « الأنورية » لئير ماسبب معقول . وكانوا يتخذونه وطربوشه القديم الذي أوشك أن يبلى هزواً ، وهذا ما كان يهيجهم . ولم يزد عقاب المدرسة إياه على تشبُّه إلا جرأة واستمراراً في الشغب والنزاع والخروج على « النظام »

وكما كان يكره القبة ، كان يكره الحكومة — الانحدادية — أشد الكره ، لأنها حين اضطرت ناز الحرب جندت أخاه الكبير وأرسلته مع من أرسلت من أبناء العراق إلى سوح الوغى في القوقاز ، ففقدت أسرته بذلك قوامها وسبب حياتها ، كان قائماً مقام أبيه الشيخ الكبير الذي لا يستطيع عملاً ، وكان يحسب أنه لاحق به في الماغل القريب

وظاهر أن هذا السلك الذي سلكه عبد العزيز يومئذ كان يجب أن يؤدي إلى شر . وكان يجب أن يكون مصيره « الطرد » من المدرسة والحرمان من العلم . وكان متوقفاً كذلك أن يتألى بعض الأذى من أجله ، فقد كان المدرسون والطلبة - إلا القليل منهم - يناوئوننا مساً ويكرهوننا ويمادوننا أشد عدا .

واشتدت الحرب في العراق . وطنى سيل النزاة الفاتحين . غالب البريطانيون ، وأصبحوا على أبواب بغداد ، فتكررت الأيام للناس ، وجندت الحكومة طلبة الصفوف المالية ، وأكبت على طلبة الصفوف التالية الأخرى تعلمهم كما تعلم الجند فنون الحرب والضرب وتفتحهم في أشق الرياضات العسكرية لتلحقهم بهم . وهنا كان حبنا الطلبة جميعاً - في مدرستنا - جبيناً ، يعلأ قلوبهم الرعب والخوف

أما عبد العزيز فقد استيقظ في نفسه من جراء ذلك شعور بنض المدرسة ، بنض للخروج مع الطلبة - على ما كانوا يفعلون في كثير من الأحيان - إلى استقبال القواد وحضور الحفلات الحكومية ، بنض للدرس الرياضة الذي أرسل إلينا آنئذ من الجيش ، وهو ضابط فظٌ بدين ، ذو شارين غليظين متعصبين كالصاوى ... وكان بخشاء

وكان - من بعد - حين يخرج من بيته صباحاً يتلصقاً في القهلب إلى المدرسة ، ويحاول أن يتأرض لكي ينقطع عنها أياماً قليلة أو كثيرة . كان ينادر البيت كل صباح ، وكأنه - كما كان يقول لي - يساق إلى سجن لا إلى دار علم وعرفان

وجاءنا إذ ذاك مدير للمدرسة جديد - وهو رجل عنيد ، كان يحسبنا مجموع دُوى من الشمع يسهل عليه اذابتها ثم صنعها ثانية على الترار التي يريد . وكان أول من لفت نظره إليه من الطلبة : عبد العزيز ؟ فقد أثار سلوكه اهتمامه وعنايته ، وراح يرهبه ويعالج تأديبه وتهذيبه بالمصا . وأذكر أن طالباً من أبناء الضباط الذين جاءوا ببغداد في أواخر أيام الحرب من البلاد الشمالية ، سقته ذات يوم ثم عبره بالمامية والفقر ، فقابلته بالصقع والضحك الوجع الممين ، فما كان نصيبه من المدير إلا الاهانة و « الطرد » . وبذلك أسدل الستار على حياته المدرسية ، وألجى إلى التشرذم والقطعة ، وأسفاه ١١

ولقيته بعد ذلك فأنيتته جزءاً ، وقصص على قصة النزاع بينه وبين ذلك الطالب - ولا أذكر اسمه الآن - قال :

« غادرت البيت صباحاً وأنا كئيب مجزون ، لأننى لم ألتق بالذي لا تقبلاً تذكر أخى الجندى ليلاً ونهاراً بالحشرات والدروع ، وأبى للقبل على آخرته غير آسف على شيء في الدنيا ، وهو يحبه حباً جماً ، لم يعمل اليهما كتاب منه منذ شهر وبض شهر . فأفرغ ذلك سبرهما بل أقتدهما الرشد . وإذا كنت أمشي في الشارع فأجأني خمسة من الشرط يمدون وراء رجل علت من بعد أنه جندى هارب . وصرخ أحدهم قائلاً : « خائن ! قف ! » ثم أطلقوا عليه الرصاص من بنادقهم فأردوه . وسقط تعباً جريحاً يلهث وعيناه تنظران إلى السماء . ووقفت على مقربة منه أنظر إليه في لهفة وفقرق ؛ وهو ملقى وقد اصفر لونه وجعلت وجهه سحابة من قتر الطريق ، وتشنجت أعصابه من الخوف ، وأقبل الشرط بتراطون يريدون أن يحملوه ... أعرضت عن هذا المشهد الذي آلمني أشد إيلام وانصرفت سائماً ، ولحظت أن الشمس تملأ الأرجاء نوراً ، فدرت أنني تأخرت عن موعد الدرس الأول . وكنت أمشي متباطئاً ذاهلاً ، فما انتهت إلا وأنا على باب غرفة صفى ... طرقت الباب طرقة خفيفة صرة فترتيت وحاولت الدخول فجابهني المعلم فاهراً لماى بقوله : « أخرج ، أخرج ، أخرج ، أخرج يا حمار ! » أو كنت حماراً في اصطبل أبيه ؟ وكنت حتى حين خروج الطلبة من الصف إثر الفراغ من الدرس تاراً مهتاجاً ، فلقيني ذلك النذل فلاغانى فلكنته ، وماذا كان يجب على أن أفعل ؟ وسحقاً للمدرسة بعد أن يتألى من هؤلاء فيها أذى ! »

وقال صديقي إبراهيم وقد حدثني بحديثه هذا بعد انتهاء الحرب ومرور سبعة أعوام على نهايتها :

« ثم احتل البريطانيون ببغداد ، وفرت صروف الزمن بيتنا - بعد ذلك - إذ رحل بي أبى وأسرنا كلها إلى الحلة ، فأقنا فيها قرابة سنين أربع ، فلما عدنا إليها لم أسمع لصاحبى عبد العزيز ذكراً »

— ٢ —

وكتبت هذا الحديث لطرافته عام ١٩٢٩ . ثم مضت على ذلك أعوام ثلاثة ، فبدأ لي يوماً أن أسأل إبراهيم :

« هلا بحثت في هذه المدة الطويلة للناحية عن رفيقك القديم ؟ رفيق المدرسة وطريدها عبد العزيز ؟ »

يوم الجمعة - أمس - الى هناك لأزور صديقي الصحافي عبد الصمد الذي سجن متهماً بنشر ما لا تحبزه الحكومة نشره ، وإذا كنت أدخل الحجر التي يُسمح بمقابلة السجناء فيها ألتقي أمامه وجهاً لوجه . وكان يكلم زائراً غريباً يرتدي بزة العامة ، ربما كان صديقاً له . ولم أعرفه إلا بعد تأمل فيه قليل ، لأن سحته قد غيرتها السنون ؟ وحيتته خياني وبسم لي ، ثم سادني : « أوقد نسيني يا ابراهيم يا حبيبي ؟ يا رفيق الأيام الحلوة التي لن تعود ! وهل نسيني على كذا ؟ وكيف هو ؟ ... الخ » ودممت عيناه من شدة الفرح ببقياي ، وكان طليفاً جريئاً ، كما كان في المدرسة ، في محادثته السجناء وصاحبي الصحافي عبد الصمد الذي لم يكن يعرفه من قبل ، ورأيت أن لهجته في الكلام أصبحت علمية سوقية خالصة ، تميزها التمايز والألفاظ التي تجري - عادة - على ألسنة هؤلاء الذين عرفوا بفمال « الشقاوة » - كما نسميها - التي تظهر فيها ، في أغلب الأحيان ، شجاعة نادرة في غيرهم و « أريحية » ونجدة وكرم على فقر ، وجراءة في اجترام الجرائم ، وكراهية شديدة لكل من يمت إلى الأجنبي الفاسد بصلة باقية من عهد الاحتلال الظالم ، على ما تعرف . ولا أدري كيف أدركت أنه محكوم عليه بعقاب السجن لاجرامه جريئة قد لا يفخر المرء بها عندنا ، فلم أشأ أن أسأله عما أدى به الى حاله تلك . ومن الغريب أنه لم يكن يرى في أمره غربة ؟ وكأنه كان معلوماً عندي ما اجترم فلم يخبرني به ؟ وسرعات ما راح يودعني ، إذ كانت الفرصة المسموح بها لزيارة المسجونين ضيقة جداً ، متمنياً أن يلاقيني عقب خروجه من السجن ، و « أن يكون تحت النظر » على حد تعبيره الشعبي الرمزي الجليل ، « فانه لا يزال على وده القديم ، وذلك الصاحب الذي لا ينسى الصاحب على طول الزمان ، ولا يرضى عن الوفاء بديلاً » . وترك المجلس لي ولصاحبي منصرفاً عنا في لياقة وحسن أدب ، كما ينصرف الواحد منا عن اثنين لديهما سر ، ولم يكن لدينا - في الحقيقة - سر غير أمره . فاني كنت في أشد الشوق الى سماع قصته ، وبتمبير أسح : قصة جريمته من صاحبي عبد الصمد ؟ وقد أحجمت عن سؤاله عما أدخله السجن ساعة لقيته لكي لا أجرح منه شعوراً طالما كنت أقدمه ، بل اقتدته في أيلنا التي خلت ، في أزهي زمان وأحلاه ، زمان الدرس والتحصيل . وقال لي

فأجبتني وهو شاعر بما يتضمنه سؤال من ملامة :
 « لقد بحثت عنه في الأيام الأخيرة ، فلفتني من أنبائه ، أنه كان هاجر قبل مدة غير محدودة بالضبط الى البصرة ، لينسكب فيها ويسيش عاملاً لدى إحدى الشركات الأجنبية ، فانه أنجى في عنقوان شبابه ، وبلغ السن التي يستقل فيها المرء بالكفاح والجهاد في سبيل الحياة ، وان أخطأ الجندي المحارب لما يمد ، وهلكت أمه ومات أبوه فقيراً معدماً ، لم يترك له إلا ديوناً وداراً ، بل كوخاً باعه الدائنون ؟ ولم يف ثمنه بعشر معشار تلك الديون . ولم يكن متعلماً حرفاً ، ونسى ما تعلمه في المدرسة الثمانية من مبادئ العلوم . وكان يزاوئ بعض الأعمال الشاقة التابعة التي يزاوئها العمال الذين هم من أدنى الدرجات ؟ ولا يأخذون عليها أجراً يستحق ذكرًا . هذا كل ما سمعته عنه . ولا يعلم أحد على التحقيق أذهب الى البصرة أم الى جهة أخرى »

قلت :

« أو لا ترى من واجب الوفاء إتمام البحث عنه لاستئناف الصلة به والوقوف بجانبه في معترك الحياة ، في هذا المجتمع الذي طنت فيه للمادية والأنانية والفردية ، المجتمع الجائر القاسي الذي لا يرحم الفقير ، وأن تنفعه وتعينه على اكتساب الرزق ، فانك موثر بمض اليسر . »

قال :

« وهل تحسب عبد العزيز المشايخ في المدرسة ، الذي لم يعرف سوى عزة النفس والآباء في أيامه الماضية عدة وخطفاً ، والذي لم يستمن أحداً من صحبه يوماً لو وجدته الآن لعد لي ولأمثالي يده في إبداء حاجة واستئانة بهما كان مسعراً تنقض ظهره الشدة والفاقة ؟ كلا . أما لا أحسب ذلك ؟ بل أحسب أن تلك الفترة من أيام « مرأعته وقائمة شبابه » كانت مقدمة وعنواناً لما كان مقبلاً عليه من أيام شبابه ورجوله »

ثم سكت وسكت

وبعد شهرين أو ثلاثة أقبل على يزورني في داري ، وما عثم أن راح يتحدثني عن رفيق شباه عبد العزيز الذي عثر به آخر الأمر فقال :

« ولقد وجدته آخر الأمر . وصاغته ... ولكن أين ؟ اعزذ أين وجدته ؟ في السجن ؟ ولا تستغرب ؟ فقد ذهبت

قال محدثي إبراهيم :

ثم زابلت السجن وكلني أسف على حياة صاحبي القديم ،
التي أحسبها ضائعة بمد هذه الحال التي صار إليها ؛ وهذا ما كنت
أتوقه منذ طردت من المدرسة السلطانية الممناية . تلك مقدمة
هذه تبيجتها ... وفي نيتي أن أزوره يوم الجمعة القادم .
قلت وأنا مصغ له في غير أسف :

« ولكن عبد العزيز أبا جاسم ، وهو جدير بلقبه هذا ،
كان شريفاً من قبل ، شريفاً من بعد ؛ ورب مجرم معذور ؛
فأما أنه كان فقيراً وسوف يندو كما كان ، فما في الفقر من عيب .
وما ضاعت حياة من كان مثله إياه وعزته نفس ... »
العراق — الأعظمية محمود . أ . السيد

بجته التأليف والترجمة والنشر

أتمت لجنة التأليف والترجمة والنشر طبع كتاب :

المختار

للأستاذ عبد العزيز البشري

وهو التخيير مما جادت به قريحة الأستاذ في عشرين
عاماً وهذا الجزء ينتظم ثلاثة أبواب : الباب الأول باب
الأدب ، والثاني باب الوصف ، والثالث باب التراجم
وقد طبع طبعاً أنيقاً مضبوطاً كثير من لفظه بالشكل
مفسراً ما يقع فيه من غريب وذلك على ورق مقيل ،
وسلي فوق هذا بصورة فاخرة وغلف بغلاف بديع ثمين ،
ونحن هذا الجزء خمسة عشر قرناً صاغاً عدا أجرة البريد
ومطلب بالجملة من مكتبة المعارف بالقاهرة
والقرد منها ومن المكتبات العميرة

عبد الصمد : « هذا فتى باهر الخصال يا أخي ، ولا أرى قائدة في
أن أقص قصته عليك في اسهاب وتفصيل ، فهو الآن مجرم محكوم
عليه بالسجن ثلاث سنين لأنه جرح رجلاً من الأجانب ، كان
يحترف عملاً فنياً لدى شركة أجنبية في البصرة ؛ وكان عبد العزيز
« يشتغل » هناك بيده كاملاً لا شأن له ، ورئيسه ذلك الأجنبي ،
على أنه كان شخصاً غنياً بين العمال ، خشن الطباع ، شرساً ،
كذلك قالوا عنه . وليس في حادثته التي طوحت به إلى السجن
ما يستغرب منه ومن أمثاله في العراق اليوم ، فقد انتهزه ذلك
الأجنبي ذات يوم ، وشتمه وأهان ، لأنه أخطأ في عمله بعض
الخطأ ، فما كان منه إلا أن قابل أهاتته إياه بطمئة بعديته ، فجرحه ،
ولم يصب منه مقتللاً . انتهت قصته . أما هو فما يزال يذكر
الحادثة غير مكترث بما صار إليه من جرائمها ، فهو يرى لها سبباً
من أسباب التفاخر بالجرأة والشجاعة ، ولا سيما أن المجنى عليه
أجنبي من بقايا الذين جاءوا في الحرب في « الحملة » على العراق ،
وهو يقول لنا عنه في سداجة ويكرر قوله مراراً : « ليته كان من
أبناء أمتنا أمثال ، إذن والله لما جرحته ، لما جرحته » ، فانظر
إلى رقة شعوره وشدة كرهه للأجانب الذين أرهقوا البلاد في
الحرب الاستعمارية الكبرى وبعدها . . . والعبرة ليست فيما
حدثتك ، بل فيما أرى عند هذا السيد العزيز الذي لقبوه في السجن
بأبي جاسم كما يلقب العراقيون عادة فتيانهم ذوى « الأرجحية »
والنجدة والشجاعة ، مجرمين كانوا أو غير مجرمين ، من فلسفة
القوة والأمل والتفاؤل والاستهزاء بصروف الحياة ، فأنني - وقد
خسنت بصداقته وترحابه منذ أن دخلت السجن - قد أسفت على
حالي كثيراً ، وطالما اسودت الدنيا في وجهي يأساً وتشوئماً ،
فلا أسمع نصائح الساذجة في ظاهرها ، ونحكاية ذات
الزنين العالي ، وأغانية الشعبية التي يرسلها من نفس زاخرة
بالأحلام والآمال ، حتى تنفجر نفسي من اليأس ، وتبدد عني
سحب التشاؤم والأسى ؛ فوالله ما نفقت في هذه الأيام المأبسة
الكتب وفلسفاتها للمهذبة الصغولة ، بقدر ما نفقت نصائح
ونحكات وأغانى هذا الصديق الجديد في السجن ، بل في مدرسة
الرجال والأبطال ، على ما يسميه ؛ وأنا ناقل لقوله فاعلى من
لوم ، فالتاس تسمى السجن مدرسة المجرمين »

البريد الأدبي

تولستوى لناسبة الاعتقال بذكرى وفاته

تحتفل روسيا السوفيتية خلال شهر ديسمبر بإحياء ذكرى كاتب روسيا وفيلسوفها الأكبر ليون تولستوى ، وذلك لناسبة صرود خمس وعشرين سنة على وفاته . ولقد عمت الثورة البلشفية كثيرا من معالم روسيا وذكرايتها وتقاليدها القديمة ، ولكن روسيا السوفيتية ما زالت تحرص على رعاية الآداب والعلوم والفنون ، وما زال هذا الحرص يتجلى في كل موقف ومناسبة ، وذكرى تولستوى تنبؤا في الأدب الروسي بل وفي الأدب العالمي أنجي مكانة ، وما زالت الثورة البلشفية تتحني اجلالا لذكرى هذا الذي رفع الأدب الروسي الى السالكين ، وانتشع بنوع من القدسية نجعل ذكراه وتراته فوق كل ثورة وكل انقلاب

توفي تولستوى منذ خمسة وعشرين عاما ، في ٢٠ نوفمبر سنة ١٩١٠ ؛ وكان مولده سنة ١٨٢٨ في قرية باسينا بوليانا من أعمال مقاطعة تولا في أسرة قديمة عريقة في النبل ؛ وتوفيت والدته وهو في الثانية من عمره ، ثم توفي أبوه وهو في التاسعة من عمره ؛ فكفكته واخته إحدى عماته ، وتلقى معهم تربية خاصة على يد معلم فرنسي ؛ وفي سنة ١٨٤٣ أرسل الى جامعة قازان ليدرس فيها ؛ ولكنه لم يجد براعة خاصة في المدرس ، ففضى بها حينئذ ، وغادرها ملولا ، وانكب على اللهو بضعة أعوام ؛ ولما بلغ الثالثة والعشرين من عمره انتظم في سلك الجيش في قسم المدفعية وأرسل الى القوقاز ، واشترك في حرب القرم تحت إمرة البرنس جور نشا كوف ، وقاتل في موقعة سلتريا سنة ١٨٥٤ ، وفي موقعة سياستبول سنة ١٨٥٥ . وكان تولستوى قد ظهر في عالم الأدب قبل ذلك بضعة أعوام ، فكتب في بعض المجلات الكبرى ، وكتب كئيبه الثلاثة الأولى وهي « الطفولة » (سنة ١٨٥٢) ثم « الحضانة » (سنة ١٨٥٣) ثم « الشباب » . كتبها في القوقاز قبل أن يتروح الى ميدان الحرب ، ووصف فيها طفولته

وحداثته وشبابه في صورة مؤثرة . وفي أثناء الحرب ، وتمت قصف المدافع كتب تولستوى عدة صور وقطع حرية قوية أسماها « قصص سياستبول » وفيها ظهرت روعة مواهبه الأدبية ، فطارت شهرته وكان بدء مجده الخالد . وفي « قصص سياستبول » تبدو شخصية تولستوى قوية ، ويدو اجلاله للحقيقة والشهائل الإنسانية والحب الأخوي ؛ وبسبب مقتله لكل مظاهر الظلم والتمتد . ولما انتهت الحرب عاد الى بطرسبرج تسبقه شهرته ، وانصل فيها بكل مجتمع رفيع وشخصية بارزة ؛ واتصل بأقطاب الكتابة والأدب ، ولاسيما تورجنيف وجوتشاروف وتكراسوف ، وتوثقت علائقه بشورجنيف مدى حين ، واسكنها لم تلبث أن قترت لاختلافهما في كثير من الآراء والمبادئ . ذلك أن تولستوى كان ثوري البسدا والمقيدة ، يجرى السبيد في ضيمته ، ويفدق المطاء للفقراء ؛ ولكنه كان في أعماق نفسه « انفراديا » وكان بعيدا عن الحركة الاشتراكية التي كانت تجرف روسيا يومئذ ويتزعما جناح قوى من الكتاب والأدباء . هذا الى أن تولستوى كان عبد الحقيقة بصورها في تفكيره وفي كتابته ؛ بينا كان أولئك الكتاب يكتبون غير ما يعتقدون ، ويفعلون غير ما يقولون . وقد كانت كتب تولستوى صورة صادقة لشخصه ومبادئه ، وكل ما فيها مستمد من حياته ومن نفسه ؛ وهذا ما يقرره تولستوى نفسه في بعض كتاباته إذ يقول : « إن الحقيقة هي بطله مؤلفاتي ، وهي دائما نفثة روي وكل جوارحي »

وفي سنة ١٨٦٢ تزوج تولستوى من صوفيا بيرس ؛ ولم يمض قليل على هذه الحياة الهادئة حتى كتب تولستوى أعظم كئيبه قصة « الحرب والسلام » وظهرت لأول مرة سنة ١٨٦٩ ؛ ثم كتب قصته الخالدة « حنة كاريننا » وظهرت سنة ١٨٧٧ ؛ وفي هذين الكئيبين يصل تولستوى الى ذروة قوته وروعته . وفي القصة الأولى أعني « الحرب والسلام » يصف تولستوى حوادث النزوة النابوليونية لروسيا ؛ وما يلفت النظر أنه يصف

فيها والدته في شخص الأميرة ماري . وقد رأينا أن تولستوي قد والدته وهو في الثانية ، ولكنه مع ذلك يؤكد لنا أنها تركت في ذهنه صورة قوية وأنه احتفظ في ذهنه الفتي بكثير من ذكرياتها وصورها . وأما قصة حنا كاريننا ، وهي فيما يرى النفقة أعظم كتب تولستوي ، فهي القصة الخالصة لزواج نكد ، وما يترتب على مثل هذا الزواج من المحن ؛ وهي القصة الخالصة لزواج عادي وما يحيط به من الصواميل والظروف . هي قصة فتاة تزوجت في سن العشرين رجلاً يكبرها بعشرين عاماً ، وعاشت معه رديحاً من الزمن أسينة مخلصه ؛ ولكنها في الثلاثين اضطربت بفورة من الهوى فأجبت ضابطاً فتي جليلاً واستسلمت إليه ؛ ولما ارتأى زوجها في الأمر اعترفت له لأول وهلة ؛ وأدرك الزوج بمد التفكير أنه يحمل تبعاً هذه الجناية ، لأنه جنى على امرأة شابة تزوجها وهوليس أهلاً لحبها ، وكانها اختلسها اختلاساً وأرتكب بذلك جرماً يعاقب عليه ؛ وعلى ذلك فقد شعر أنه يستحق ما أصابه ، وترك زوجته الفتية (حنه) وفارقها ، وعاش بلا أسرة . ولكن هل كانت حنه سميدة بهذه الحرية ؟ كلا ، فقد شعرت هي الأخرى بأنهما ؛ وسرعان ما دب الفتور إلى حبيبها ، وأنحت تشرأبها غدت عبثاً ثقيلاً عليه ، وهكذا حطمت حياتها . وأما الماشق (فرونسكي) فقد كان فتي جهم العيث والأهواء ، وكان يهوى حنه هوى الفورة والساعة ؛ ولكنه شعر أنه أنم أيضاً وأن إنعجه يوجب عليه أن يبقى إلى جانب تلك التي حطم حياتها فقرر معها إلى الخارج وقضى بذلك على مستقبل زاهر كان في انتظاره ، ثم كانت خاتمة المأساة ذات يوم في حلبة السباق إذ سقط المحب القديم من فوق ظهر جواد كان يتطليه فقتل لساعته .

تلك هي الفلسفة الانسانية الرائعة التي يبسطها لنا تولستوي في أعظم كتبه . وفي سنة ١٨٨٠ نشر تولستوي كتابه « اعترافي » وفيه يبسط لنا آراءه ونظرياته الدينية . وفي هذا البندان كما في غيره يبدو تولستوي في صور مختلفة متناقضة ، فبينما نراه الرجل المؤمن المريق في الإيمان إذا بنا نراه ملحداً منكراً ، وإذا بنا نراه وثنياً وطائفاً . وكتب تولستوي بعد ذلك عدة كتب ورسائل أخرى يطلب عليها طابع التصوف ، منها « إيقان اليقش »

و « الكورتيس سوناتا » و « ملكة الله في قلبك » و « ما هو الدين » . وساح تولستوي في ألمانيا وسويسرا وغيرها وكتب صور سياحته في كتابين : أحدهما يسمى « لوسره » والآخر « مذكرات نخليودو » وغدا تولستوي في كهولته فيلسوفاً ومصلحاً اجتماعياً يحرر عبيد ضيقته ، ويقسم أرضه بين الفلاحين ويعني بتربيتهم وإرشادهم ، ويشيث البؤساء والنكويين ؛ ومن أثر ذلك أنه نزل عن أملاكه لزوجته وأولاده ، وحاول أن يعيش عيشة الزهد والتقشف مثل ما يعيش أفقر أبناء الريف . وكان ذلك سبباً في تنفيذ حياته المائتية ، وفي تعميق علاقته بزوجته . ولما شعر في أواخر حياته أنه غدا بين أسرته كالتقريب النبوذ ، فر من منزله سرا . وكان قد تبوأ ذروة مجده منذ أعوام طويلة وغدا يكفنه نوع من القداسة ، وكان قد أشرف على نهاية حياته الخالصة فتوفي بعد ذلك بقليل في بلدة استابوفو في ٢٠ نوفمبر سنة ١٩١٠ ، واختفت بذلك شخصية من أعظم شخصيات الأدب الحديث

وكان تولستوي شاعراً وفيلسوفاً وفناناً ، وكانت حياته كلها حياة كفاح واضطراب ، وابكبتها متناقضات مذهبة ؛ فمن أرستوقراطية عريقة ، إلى ديمقراطية ساذجة ؛ ومن إيمان مؤثر إلى إلحاد مطبق ؛ ومن شغف بالنساء إلى احتقار لهن ؛ ومن إنسانية قياضة إلى آتانية عميقة . بيد أن تولستوي كان يسمو بروحه ومشاعره إلى أنبل ما يمكن أن تصبو إليه النفس الإنسانية ؛ وقد كان لفلسفته وكتبه أثر عميق في تطور للشاعر الروسية ، وفي تكوين النفس الروسية الحديثة

وقد بلغت مؤلفات تولستوي في الطبعة الروسية زهاء مائة مجلد ، وترجمت إلى كثير من اللغات الحية ؛ وترجم له كثيرون من أكابر الكتاب في مختلف الأمم

رسالة ملوكية ضخم

من أبناء استانبول الأخيرة أن السلطات المختصة قد وجدت في محفوظات متحف الدولة رسالة ملوكية ضخمة من الورق الشمع وطولها تسعة أمتار وعرضها سبعة ؛ وظهر من البحث أنها رسالة أرسلها شاه القرن في القرن السادس عشر إلى السلطان سليمان الأكبر . وقد تقرر أن تعرض لأتظار الجمهور

موت زعيم كريم ، ابراهيم بك قناتو

الامتنان بالجامع

في السنة القادمة (١٣٥٥ هـ) يتم أحد عشر قرناً لوفاة أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري المتوفى سنة ٢٥٥ هـ ؛ وإحداً لو تقدم علماء العراق وأدباؤه الى الاحتفال بذكره في مدينة البصرة ، واشتركت الأقطار العربية كلها بتمديد مناقب أعظم رجل جمع بين علوم الدين والدنيا في الاسلام . محمد كرد علي

مواثر نوبل

ذكرنا في العدد الماضي أن جائزة نوبل للطب والفلسفة قد منحت عن هذا العام الى العلامة الألماني الدكتور هنز شيمان من أساتذة كلية فريبورج . ونضيف اليوم أن جائزة نوبل للكيمياء قد منحت للأستاذ جوليو الفرنسي من أساتذة جامعة باريس وزوجته السيدة كوري-جوليو ، وهي ابنة مدام كوري الكيمائية البارعة التي اشتهرت بمباحثها واكتشافاتها في الراديوم وخواصه . ومنحت جائزة نوبل للطبيعات للأستاذ جيمس سادويك الانكليزي ومن أساتذة جامعة كامبردج اعترافاً بفضلها في اكتشاف « النورون » . وقيمة كل جائزة من هذه الجوائز الشهيرة كما أسلفنا سبعمائة ألف فرنك (نحو تسعة آلاف جنيه) وأما جائزة نوبل عن الآداب فلم يتقرر منحها هذا العام ، وتقرر أن يعاد النظر في أمر منحها في العام القادم . وقد سبق أن عطل منح هذه الجائزة زهاء خمس عشرة سنة من ١٩٠١ الى سنة ١٩١٤ ، ثم استؤنف منحها بعد ذلك

توريد أدوات كتابية

تقبل إدارة التوريدات العمومية بوزارة المالية لغاية الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الثلاثاء ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٣٥ عطاءات عن توريد أدوات كتابية ، ودوسيات ، وظروف ، وكرات ، وأحبار ، ومواد لصق ، وأكياس تيل للنقود ، ودواليب صلب للمحفوظات ، لازمة لسنة ١٩٣٧-٣٦ . ويمكن الحصول على قائمة المواصفات وشروط المناقصة من الادارة المذكورة مقابل مائة مليم

واأسفاه ! في الساعة التي اشتهت فيها معالم السياسة في سورية ، قدست الأمانى الخواص الى الشعب ، وتفرقت السبل الجوامع بالزعامة ، يغيب القطب الهادي ، ويهدم النار الدال ؛ ونجوى الضرام المذكي ، ويخفت الصوت المجمع ، ويعوت الزعيم هتانو ! ! روت سورية من شمالها الى جنوبها بنى هذا الزعيم الكريم ، وألها من خطبه ما غلب على الصبر ومنع من القرار ، فهبت كلها تندبه وترثيه ، وتبكي بطلها وأملها ودليها فيه . والحق أن الفقيد العظيم كان مثلاً نادراً في الزعامة البريئة الجريئة الخالصة : كان صلباً في الرأي على قدر إيمانه ، ومتمرداً على الباطل على سواء حقه ، ومهيئاً على الشعب بقوة نفسه ونبل غرضه . جرد على الواغل الدخيل جيشاً من الوطنية الصابرة والحمة النائرة والعروبة النضبي ، ثم صمد له بالمدد القليل بمدد سقوط دمشق سنة كاملة لم يلبس لفمزم ولم ينكل عن خطة ، حتى آبل أمره الى فلسطين فسلمته حكومتها الى فرنسا لحكم وبرى ؛ ومن ذلك اليوم كان مقد آمال السوريين يفزعون إليه في المضلات ، ويستغيثون برأيه في المشكلات ، وينضوون الى رأيه في الواقع . كان رحمه الله على خلق الزعماء أولى الزم والرسالة : نظر الى أمته نظر الحكيم المصلح فألف بين قلوبها ووفق بين ميولها وقرب بين عقائدها ، ثم دافع عن صرافتها دفاع المؤمن الثريه ، فلم يصف الى دنى المطامع ، ولم يفتخر بمظاهر الجاه ، ولم يطمح الى عزه السلطة ، وإنما ظل جندياً يقود ، وحامياً يذود ، وخطيباً يرأب بلسانه صدوع الفرقة ، حتى أضاء الجهاد المستمر ، وأقعد المرض المخامر ، فكان زعيماً بالفكرة ، قائداً بالبدأ ، مرشداً بالقدوة . ثم قبضه الله إليه فأحدث ذلك الفراغ الحثيف ، وهز أمته تلك الهزة الشنيعة ، لأن الزعماء الذين يصوغهم الله على هذا الطراز يكونون في النهضة الاجتماعية من أمهم مكان السباط من حبات العقد ، ينظمون وحدتها ، ويجمعون كلتها ، ويمسكون نظامها ، ويمقدون أمانها ؛ فإذا قطعت المتن ذلك المحيط ذهب العقد بحداد ما لم يكن له من الله ناظم وطاسم . متى الله بصليب الرحمة تراه ، وعزى فيه الأمة العربية خير الزواء



١ - تاريخ الاسلام السياسي

تأليف الدكتور حسن ابراهيم حسن

بعض ما قد تلاحظه

لأستاذ كبير

الدكتور حسن ابراهيم حسن من الشبان المصريين الذين يحملون في مادة التاريخ الاسلامي طائفة غير قليلة من الألقاب العلمية الضخمة ما بين مصرية وأجنبية ، ثم هو قد زاول تدريس التاريخ الاسلامي في الجامعات المصرية والأزهرية سنين طوالاً أخرج فيها من الآثار المؤلفة والترجمة شيئاً كثيراً ؛ وقد طلع على الناس في هذه الأيام بسفر ضخيم في تاريخ الاسلام السياسي تناول الكلام فيه على عصر الجاهلية ، وعصر النبوة ، وعصر الخلفاء الأربعة ، وعصر بني أمية

تلقاه هذه الألقاب الضخمة ، والخبرة الواسعة ؛ وتلقاه جلال العصر الاسلامي القديم ، استشرفت نفسي لمطالعة كتاب الدكتور الأخير منذ علمت بظهوره ؛ ولم أكد أصل إلى نسخة منه حتى عكفت على قراءته ؛ وقد قرأته من أوله إلى آخره . وإني مع اعترافي بالمجهود الكبير الذي أنفقه الدكتور في كتابه ، قد تبين لي في الكتاب من السقط والزلل ما لا يحسن السمعة عليه ، لذلك عمدت إلى نشر ما تيسر لي نشره من الاستدراك خدمة لمادة ناشئة في مساهدنا العلمية ، هي مادة التاريخ الاسلامي ، واستحثاً للمؤلف على تدارك أمره في مادة هو متخصص فيها ، وضناً بما لمصر من حسن السمعة العلمية في الأقطار الشرقية أن يتطرق اليه ضعف أو وهن . وإني أقصر كلمتي اليوم على إيراد شيء من مآخذ الكتاب التاريخية تاركاً بقية المآخذ لكلمات أخرى أنشرها تباعاً على صفحات « الرسالة » ان شاء الله

يطاق المؤلف في ص ٣٤ كلمة « أقيال » على ملوك العرب

وساداتهم ، مع أن هذا اللقب خاص بملوك اليمن أو من دونهم من أمراء الخلفاء اليمنية

يقول المؤلف في ص ٣٦ : « وكان للعرب نظام ثابت للزواج :

فكان جمهورهم يقترب بالزوجة بمدرضا أهلها ، كما كان كثير منهم يستشيرون البنات في أمر زواجهن . وينبغي ألا يخلط بين هذا الارتباط بالزواج وبين غيره مما عرف عن بعض العرب من اجتماع الرجل بالمرأة بغير هذه الطريقة » ولو قصر المؤلف هذه الحال على الحجاز لاستقام قوله ؛ أما وهو يعمم الحكم بكلامه لا يطابق الواقع ؛ والدليل على ذلك حديث البخاري النسوب إلى عائشة ، والذي بين الأنحاء الأربعة للأندلس في الجاهلية (البخاري ج ٧ ص ١٥)

يذكر المؤلف في ص ٤٥ : أخذاً بظاهر الرواية العربية ، أن الفرس كانوا زاهدين في ملك اليمن ؛ والصحيح الثابت أنهم كانوا حراساً عليه ليحدوا من نفوذ خصوصهم الروم والأحباش في تلك البلاد

يقول المؤلف في ص ٤٥ في وصف وهرز قائد الحملة الفارسية على اليمن : « ووصفه المؤرخون - ومنهم المستشرق تولدك - بأنه قد بلغ من الكبر عتياً لدرجة أن جفنيه انطبعا أحدهما على الآخر » والوارد في الروايات أن حاجبيه هما اللذان كانا قد سقطا على عينيه لكبره فكان يصب له حاجباه ليحسن الابصار (الطبري ج ٢ ص ١١٩)

يقول في ص ٥٨ : « ويستفاد من أخبار العرب أن بني جفنة استولوا على سورية » ، ولو استبدل « بادية الشام » بسورية لاستقام قوله

يقول المؤلف في ص ٦١ - ٦٢ : « وكان لكل قبيلة رئيس منهم حسب نظام القبيلة المسمى Patriarchal State التي كان مألوماً لدى العرب في جاهليتهم ، وكان لهذا النظام مثيل بميزة قرسقة

(كورسيكا) « واستعمال لفظ أجنبي لنظام عربي لا محل له هنا كما أن التنظير بين بلاد العرب وبين تورشة خاصة يبدو غريباً ونائياً في هذا المقام

يزعم المؤلف في ص ٦٣ أن الحجاز « ظل محافظاً على استقلاله أيام الاسكندر المقدوني الذي سده العرب حين أغار على ملك الفرس » فنى ، وأين ، وكيف صد العرب الاسكندر المقدوني يادكتور ؟ لاشك أنك إن فصلت ما أجملت في عبارتك تكشف عن "حجة خطيرة مبهولة من تاريخ الفاتح المقدوني الكبير يقول المؤلف في ص ٦٨ في سياق كلامه على قريش « واتخذوا جزءاً من الأرض المجاورة أولوه احترامهم ، واعتبروه مقدساً ، وبنوا به بيتاً حراماً لا يحل فيه القتال وأخذوا على عاتقهم حمايته » وهذا كلام يضر قائله ولا ينفعه ، وإني أنصح للدكتور أن يبادر الى التبرؤ منه وإلقاء تبعته على قائله الأصلي . فالدكتور لا شك يعرف أن إبراهيم الخليل هو الباني للكعبة ، وأن قريشاً كانت تحتضن بالبيت والحرم ، بدلاً من أن تحميها ، بدليل قوله تعالى « أولم يروا أننا جملنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم » (سورة النكبات)

يقول المؤلف في ص ٨٧ في سد الكلام على الحنيفية ببلاد العرب : « ويطلق على هذه الزعة التحنف ، وعلى أصحابها الحنفاء أو الثابثون المترون » وهنا أيضاً أنصح للمؤلف أن يبرأ من هذا القول فليس معنى التحنف « التوبة والاعتراف »

ويقول في ص ٩٧ بعد أن يورد أسماء السابقين الأولين الى الاسلام : « وقد سموا السابقين الأولين كاسمى من أسلم بدمهم بالمستضعفين » وظاهر أن ليس التأخر في الاسلام هو السبب في وصف المستضعفين بالاستضعاف إنما السبب في ذلك أمر آخر يفرقه من يقرأ الجزء الأول من سيرة ابن هشام بشيء من الروية والتفكير

ويقول في ص ١٢٩ - ١٣٠ : « ولم يكد الرسول بفرغ من بناء المسجد حتى أخذ يث الدين في نفوس أسدقائه وأتباعه ومحتم على الخضوع والاذعان لارادة الله ، ومن ثم سمي هذا الدين بالاسلام لما فيه من الانقياد والخضوع المطلق لارادة الله تعالى . والذين يديجون به يسمون للمسلمين ، أى الذين يخضعون لأمر الله ورسوله » وعلى فرض صحة هذا القول ماذا كان يسمى الاسلام

والمسلمون قبل بناء المسجد وطوال العصر المكي ؟ ويقول في ص ١٣١ : « وأحل (الاسلام) الدعوة الدينية محل الوحدة القومية » ثم يقول بعد : « وهكذا أصبح الدين دون الجنس المرجع الوحيد في تحديد العلاقات بين الحكومة والرعية » والظاهر أن المؤلف ينقل هنا عن أصل أجنبي ، وأن المراد بالوحدة القومية والجنس هنا أعماق « القبيلة »

ويقول في ص ١٣٤ : « فقد تزوج (الرسول) ... صفية بنت حُيَيسٍ سيد بني النضير ليم له إسلام قومه ، لا لتأثير جمالها كما يقولون فهو أعلى نفساً من أن يتأثر بذلك » وهذا الكلام إن دل على شيء فأنما يدل على قلة الاطلاع الصحيح وعلى سفاكية التفكير وإلا فهل كان الرسول لا يزال يطمع في إسلام اليهود بعد الذي جرى بينه وبينهم من الأحداث الجسام بالديانة وخير ؟ ثم متى كان التأثير البريء بالجمال دليلاً على زوال النفس وعدم سموها ؟

ويقول المؤلف في صفحة ١٥٤ : « سيرة بني الرجيع » ويميد ذلك القول في هامش صفحة ١٧٤ ظناً منه أن هناك قبيلة تدعى (بني الرجيع) والواقع أنها أعما يريد « بني لحيان » الذين كان لهم ماء يسمى (الرجيع) وقعت عنده الحادثة المعروفة في كتب السيرة ويقول في صفحة ١٧٠ : « وسفوة القول أن معاملة الرسول لإمام (اليهود) كانت أبسر وأخف من معاملته قريشاً وغيرها » ولو عكس المعنى فقال : « كانت أحزم وأشد » لكان كلامه منطبقاً على الواقع من غير نزاع

ويقول في صفحة ١٨٣ في سد الكلام على غزوة الطائف : « وأقام الرسول على حصارهم (ثقيف) حتى إذا دنا شهر ذى القعدة وهو من الأشهر الحرم فك الحصار عنهم ليرجع اليهم بعد انقضاء الأشهر الحرم » ومع أن الأشهر الحرم لا تمنع من مباشرة القتال في الاسلام فإن الرسول لما رأى أن الحرب طالت بينه وبين ثقيف علم أنه لم يؤذنت له فيها وأسر ذلك الى أبي بكر وعمر ثم ارتحل عن الطائف تاركاً أسرا إسلامها للزمن . وقد صحت قرأته فقد جاءه وقد ثقيف بإسلامها في رمضان سنة ٩ هـ

ويسمى المؤلف في صفحة ٢١١ نابليون : « الفتى الطلياني » وذلك تعبير لا يليق صدوره ممن يتخصص في التاريخ في صفحة ٢٤٠ - ٢٤١ يزعم المؤلف أن القصيدة التي مطلعها :
إن بالشعب الذي دون سلع لقتيلاً دمه ما يطل

قالها قائلاً في رثاء عمه ، والصحيح الثابت من سياق القصيدة نفسها أنها قيلت في رثاء خال الناظم لا عمه وذلك بدليل قول الشاعر :

فاسقنيها ياسود بن عمرو إن جسي بعد خال نخل
والظاهر أن المؤلف شغل بنقل شرح التبريزي على القصيدة عن تفهيمها وتبين من قيلت فيه

ويقول في صفحة ٢٤٧ في كلامه على أبي بكر الصديق :
« وكى بأبي بكر إيسادته الى الاسلام » ولست أدري ما الذي أبقاه المؤلف بعد هذا القول لجهة المبشرين ومتسفي المستشرقين ؟
ويقول في ص ٢٧٨ : « لقد رحب الفرس بالعرب حبا في الخلاص من ظلم الحكام أولا ورغبة في معاقبتهم من الخدمة العسكرية ثانياً . . » وهو كلام بعيد عن الواقع بعد الساء عن الأرض

يظهر المؤلف في هامش ص ٢٩٥ خبره من اضطراب تاريخ فتح العرب الشام ويقول « وعلى كل حال فليس غرضنا ترتيب الوقائع لأن ذلك ليس من شأننا » فهل ترى يادكتور أن من شأنك أن تنقل شرح التبريزي على قصيدة تأبط شرا ، وأن ليس من شأنك أن ترتب وقائع فتح العرب للشام ؟

ويقول في ص ٣١٠ عند كلامه على فتح عمرو الاسكندرية :
« وهزم الروم برآ وبحراً » وقد أخطأ هنا من وجهين . فان عمرا أو غيره من العرب لم يهزم الروم برآ وبحراً عند الاسكندرية ، وإنما استولى عليها بمساعدة بابليون التي تحت بينه وبين القوقس (أنظر كتاب فتح العرب مصر لبطار) ثم كيف استطاع عمرو أن يهزم الروم بحراً ؟ هل كان معه أسطول ياترى ؟

يرغم المؤلف في صفحة ٣١٤ أن المؤرخين لم يميزوا برأى في أمر حريق مكتبة الاسكندرية . والصحيح أنهم فعلوا . فقد جزم بطر بأن العرب لم يحرقوها ، وجزم جورجي زيدان في تاريخه بأنهم أحرقوها

يقول في ص ٣٣٠ ضمن كلامه على عثمان بن عفان : « وكان يصوم الدهر » ، والمقل الشاذد يرفض هذا القول وإن كان وارداً في كتاب قديم . هنا فوق ماورد في الأثر من النهي عن صوم الدهر

يقول في ص ٣٤١ أن عثمان ترك للأغنياء أمر الزكاة يدفعونها

كما يشاءون ، وتلك دعوى لا يقوم على حجتها دليل
يقول في ص ٣٥٣ أن قتلة عثمان ضربوا عنقه وأن بعضهم قطع بالسيف أصبع نائلة زوج عثمان ، والخليفة المظلوم قتل دون أن يضرب عنقه ، وأن أصابع يد نائلة أطنت بالسيف لأصبع واحدة
يقول في ص ٣٦٥ : « ولما توفي عمر انتخب عثمان بمقتضى قانون الشورى الذي سنه عمر » وعمر لم يسن قانوناً للشورى وإنما عين ستة نفر يختار المسلمون من بينهم خليفة

في ص ٣٩٨ يتابع المؤلف المستشرق الإنجليزي نيكلسن في قوله في انتصار معاوية في أمر الخلافة : « اعتبر المسلمون انتصار بني أمية وعلى رأسهم معاوية انتصاراً للاستقرارية الوثنية التي ناصبت الرسول وأصحابه العداء » والأمر هنا ليس أمر وثنية وإسلام إنما هو أمر أحزاب سياسية تتنافس في الحكم وقاز بعضها في النهاية

وهو يتابع في ص ٤٢٥ عند أمير على في قوله في وقعة الحرة « ولا غرو فقد حول جند الشام السجد الجامع الى اصطبل لحيولهم وهدموا الحرم والأماكن المقدسة لسب ما فيها من أثاث ومتاع » وهذا كله غير ثابت

يقول في ص ٥٠٧ عند كلامه على الرجفة : « وقد ظهر من بينهم أبو حنيفة صاحب هذا المذهب المشهور الذي لا يزال باقياً الى اليوم » واتهام الامام الأعظم بالارجاء أمر قديم وقد كفاها مؤنة تفينده السلطان أبو المظفر عيسى الأيوبي في رده على الخطيب البغدادي
(يتبع) مؤرخ

